16 em Année No. 783

Lundi — 5 — 7 — 1948

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــدد ٧٨٣ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٨ شعبان سنة ١٣٦٧ — ٥ يوليو سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

نقـــلة مســـتحبة

في تاريخ البلاد الأمريكية

للأستاذ عباس محمود العقاد

إذا كان الأستاذ محمود الخفيف يطيب له أن يعود إلى حديث لنكولن فنحن لا نكره العودة إليه ، ولا نظن أحداً فى هذا الزمن يكرهه ، أو يكره العودة من أحاديث أمريكا الحاضرة إلى أحاديث أمريكا فى أى عهد من العهود ، فضلا عن العهد الذى كان رئيسها فيه أعظم رئيس تولى أمورها ، أو كان على الأقل واحداً من ثلاثة على الأكثر بين أعظم هؤلاء الرؤساء .

إنها نقلة مستحبة ؛ لأنها بغير شك نقلة من أصغر رئيس تولى أمور الولايات المتحدة أو يمكن أن يتولاها فيما نظن ، إلى رجل من أكبر رؤسائها ومن أكبر ولاة الأمر فى أمم العالم الحديث .

أخذنا على كتاب الأستاذ الخفيف عن إبراهام لنكولن بعض ملاحظات ، وقلنا إن الملاحظة على كتاب يؤلف عن لنكولن أمر لامناص منه كائناً ما كان الكاتب ، وكائنا ما كان منهج الكتاب . لأن آفاق الحياة الفردية وآفاق الحياة الاجتماعية التى تتصل بسيرة هذا الرجل العجيب أوسع من أن تستوعب فى كتاب واحد ، ولا سيما كتاب يوضع بالعربية ويحتاج المؤلف فيه إلى اطلاع القراء فى لغتنا على مراجع ومناسبات تغنى من تحصيل الحاصل فى عرف الأكثرين من القراء الأمريكيين والأوربيين .

وكانت خلاصة ملاحظتنا أن الكتاب خلا من تعريف كاف بأسلاف لنكولن من جانب أبيه وأمه ، وليس فيه إلمام كاف بسلسلة المصادفات المتوالية التى ساقته إلى رئاسة الجمهورية ، وليس فيه تعليق على مقتله ، ولا عن المتآمرين عليه يشرح هذه الجريمة شرحاً يناسب مكانها فى تاريخ الإجرام عامة وفى تاريخ الولايات المتحدة على التخصيص » .

وقد اعتقد الأستاذ الخفيف أن البيان الكافى عن أسلاف لنكولن غير ميسور لأن الرجل كان كما هو معلوم عصاميا خامل الآباء والأجداد . ولكن الواقع أن اللغز يعرض لنا من أمر آبائه المعروفين ونستطيع حله من تاريخهم المعروف . وقد قال الأستاذ الخفيف إن ثمة شيئاً كان يجذب الصبى إبراهام إلى أمه: «وذلك هو معرفتها القراءة والكتابة ثم رغبتها فى أن يتعلم الصبى على الرغم من مجادلة زوجها إياها فى ذلك ؛ إذ كان يرى الصبى أحوج إلى الفأس منه إلى القلم ، وحجته أنه لا يعرف من الكتابة إلا أن يرسم اسمه ومع ذلك فهو يكسب بفأسه ما يقيم أود أسرته » ...

وربما كان تاريخ لنكولن كله رهنا بسر هذا الاختلاف بين نزعة المعرفة فى أمه ، ونزعة الرح فى أبيه ، ولا شك أننا نعرف

الشيء الكثير عن هذا السر متى عرفنا أن هذه النزعة فى أمه موروثة متأصلة ، لأنها من سلالة غير شرعية لفتاة نسيت فى سبيل المعرفة نفسها ومستقبلها . وقد أشار هرندون — وهو حجة فى تاريخ لنكولن — إلى هذه القصة وظهر بعد ذلك كتاب «لنكولن المجهول» لديل كارنيجى فزادها تفصيلا وجاء فيها بما يغنى فى هذا المقام (Lincoln the Unknown by Dale Carnegie)

***

أما مصرع لنكولن فالكلام فيه عن القاتل أهم من الكلام عن الحادث ؛ لأن حادث القتل قد يقع فى كل قطر من أقطار الأرض ، وقد تكون الخصومة السياسية سبباً لاغتيال الساسة فى كل ثورة من ثورات الأمم ، ولكن الدوافع التى نزعت بقاتل لنكولن إلى فعلته لا تمهد فى غير الحياة الأمريكية وفى غير بدوات المغامرة التى اشتهر بها طلاب الظهور فى القارة الجديدة ولا يزالون يشتهرون بها إلى الآن .

فقد كان للرئيس المظيم أعداء كثيرون يودون قتله لتحقيق مطالب أهل الجنوب ، ولكن الممثل الفاشل الذى قتله — وهو جون ويلكز بوث — لم يكن صاحب رأى ولا صاحب غيرة وطنية ، ولا كان من همه فض الاتحاد الجمهورى أو توسيع حقوق الولايات ؛ ولكنه كان فتى وسيما ابن ممثل عظيم ، وكان أبوه جونيوس بروتس أقدر الممثلين لأدوار شكسبير ، وكان إلى جانب ذلك مثلا فى الصلاح والاستقامة والرحمة بجميع خلائق الله ، وكان من أجل ذلك يحرم أكل اللحوم ويتجنب إزهاق الحياة ولو كانت حياة أفعى أو حشرة مؤذية . فإذا بولده يقتل أعظم رجل فى بلاده لأن وسامته جنت عليه وصرفته عن اتقان التمثيل على المسرح إلى اتقان التمثيل فى مواقف الغرام ، فتخلف عن زملائه وأخطأته الشهرة فى ميدانه وأحب أن يعوض ما فاته منها بمسرحية تاريخية تطغى على كل مسرحية فنية ينبه بها شأن نابغة من نوابغ التمثيل . ولم يكن من قصده فى بادىء الأمر أن يزهق حياة الرئيس ، وإنما خطر له أنه يستطيع أن يختطفه ويحمله إلى الجنوب ويسلمه إلى الولايات الجنوبية لتملى شروطها على ولايات الشمال كما تريد .

وما هو إلا أن فرغ من تدبير هذه المسرحية حتى فوجىء بتسليم قادة الجنوب وضاع كل رجائه فى مؤامرة الاختطاف فخطر له يومئذ أن يقتل الرئيس فى دار من دور التمثيل ثم يلوذ بالهرب لعلمه بمخارج هذه الدور ومداخلها وخبرته بمواضع النور والظلام فيها .

ولولا أنه ممثل فاشل لما خطرت له هذه المؤامرة ، ولولا اعتماده على معرفته بمسارح التمثيل لما اختار المسرح لتنفيذها . فهل يكثر على تفصيل هذا الحادث صفحتان من كتاب عن حياة الرئيس القتيل ؟ وهل يكون مصرع هذا الرئيس مفهوما وموقعه من طبيعة الحياة الأمريكية واضحاً بغير هاتين الصفحتين ؟

***

ويأبى الأستاذ الخفيف أن يصدق أنه أهمل بعض المصادفات التى كان لها الأثر الأكبر فى ارتقاء لنكولن إلى رئاسة الجمهورية فيكفى أن نذكر له فى هذا الصدد أن مصادفة واحدة من هذه المصادفات كانت سبباً لتحول الحزب الجمهورى من وليام سيوارد إلى لنكولن فى المؤتمر الكبير الذى عقده الحزب بمدينة شيكاغو سنة ١٨٦٠ لاختيار مرشحه لرئاسة الجمهورية .

فقد حدث الاجماع فى يوم ميلاد سيوارد ، وكاد الإجماع بين المندوبين أن ينعقد على اختياره . ولكن مصادفة واحدة غيرت مجرى التاريخ فى ذلك اليوم ... لماذا ؟ ... بسبب بسيط ، غاية فى البساطة ... وهو أن عامل المطبعة لم ينجز إعداد الأوراق التى كانت لازمة للاقتراع ، فاتفقوا على تأجيل البدء بالاقتراع ، وتم التأجيل فعلا ، وحدث الانقلاب المفاجىء فى هذه الأثناء . فإن الصحفى النابه هوراس جريلى — عدو سيوارد اللدود — تمكن فى هذه الفترة من تحويل معظم المندوبين عن رأيهم ، فرجحت كفة لنكولن على غير قصد من جريلى ومن شيعته ، لأنهم لم يكونوا مع لنكولن على وفاق .

ولولا أننا لا نستطيع أن نعيد تاريخ لنكولن وتاريخ ترشيحاته فى مقال واحد لفصلنا الكثير من أمثال هذه المصادفات .

ولم يكن نصيب المصادفات التى كان لها أكبر الأثر فى الترجيح بين الأحزاب نفسها وبين جيوش الشمال وجيوش الجنوب أوفى نصيباً من هذه المصادفات التى صعدت بلنكولن إلى رئاسة الجمهورية ؛ فإن كثيراً من الأحداث التى ارتفعت بحزب على حزب ونصرت جيشاً على جيش ، ترجع إلى مصادفات لم تذكر فى الكتاب .

حجة خيط العنكبوت

وقد فات وقتها

للأستاذ نقولا الحداد

يدعى اليهود أن أهيه (ومعناه: أكون الذى أكون) وما لبث أن سمى أيضاً يهوه (أى يكون) وهو اسم علمٌ لإله الإسرائيليين كما هو مذكور فى سفر الخروج الاصحاح الثالث والعدد ١٤ — يدعون أن يهوه وعدهم وهم خارجون من مصر أنه يملكهم من بحر سوف (أى البحر الأحمر) إلى بحر فلسطين (أى البحر الأبيض)، ومن الجزيرة (برية سينا) إلى النهر (الأردن). انظر خروج ص٢٣ عد٣١، كذا قال يهوه الذى لقبوه بعدئذ رب الجنود، خروج ص ٣ عد ١٤، وقد وعد موسى قائلاً إن ملاكى يسير أمامك (وملك شعبك طبعاً) ويجىء بك إلى الأموريين والحثيين والفزيين والكنعانيين والحوبيين والبيوسيين فأبيدهم. خروج ص ٢٣ عد ٢٣

بعد أن خرج موسى بشعبه من أرض مصر إلى برية سينا صعد إلى جبل سينا لكى يتقبل وصايا الرب. وتأخر طويلا إلى أن نفد صبر شعب إسرائيل، فاضطروا هرون أخا موسى أن يصنع لهم عجلا من الذهب الذى كان فى أعناق نسائهم مما استلفته من المصريات قبل أن يخرجوا من مصر لأنهم يريدون إلهاً من ذهب لا من حجر ولا من خشب، فهم عبدة المال المعبر عنه بالذهب، فغضب يهوه لأنهم تركوه وعبدوا العجل الذهبى. وقد اقتبسوا هذه العبادة من مصر، وتهددهم أن يبيدهم. فعاد موسى يسترضيه ويذكره بوعده لأجداده: إبراهيم وإسحق ويعقوب بقوله لهم: أنه يجعل نسلهم كنجوم السماء بالكثرة، وأنه يعطيهم تلك الأرض فيملكونها إلى الأبد. خروج ص ٣٢ عد ١٣، ١٤ فاستعطفه موسى إلى أن ندم على الشر الذى قالوا إنه يفعله بشعبه. خروج ص ٣٢ عد١٣ ١٤ — هذا ما ورد فى التوراة التى كتبها اليهود.

فاليهود يقدمون اليوم هذه النصوص حججاً مسجلة لهم فى التوراة بملكية فلسطين كما نعرفها اليوم، ويزيدون على هذا الميراث الأملاك التى بين النيل والفرات.

والأنكى أن هناك فريقاً مغفلاً من النصارى يستشهدون بالتوراة فى إثبات هذا الميراث لليهود. فلنر ما هى قيمة هذه الحجة.

ألا يقولون لنا من أعطاهم هذه الحجة، ومن سجلها لهم

ومن الطريف أننا نأخذ على الأستاذ الخفيف أن ميزانه المشترك بين أبطال كتبه ناقص، فيقول فى مناقشة هذا النقد: «إنى لست أذكر أنى عنيت بالميزان المشترك. فقد كنت أصف كل شخص على حدة، ولم أصدر حكما على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره ... »

وهذه هى العقدة وليس هذا هو حل العقدة كما رأى الأستاذ الخفيف. وإلا فهل يرى أن تاريخا يقوم على الكفاح بين الشخصيات والقادة ثم لا يصدر فيه حكم على لنكولن بعد الموازنة بينه وبين غيره يمكن أن يقال إنه وافى الميزان من جميع الوجوه؟

وإنى أنتهز فرصة الكلام على الميزان المشترك فأصحح هنا خطأ مطبعيا عرض لجملة من مقالى حيث جاء فيه: «من أمثلته فى تاريخ أحمد عرابى أنه لم يحرر الميزان كل التحرير عند الحكم على عرابى ومن بعده مثلا» وصوابها «على عرابى ومحمد عبده» لأن المقصود هنا هو الأستاذ الإمام رحمه الله.

***

وبعد فلست أظن أن الأستاذ الخفيف يرى أن كتاباً يوضع فى تاريخ لنكولن وتاريخ الولايات المتحدة فى عصره يصدق القائل فيه إذا قال إنه يخلو من ملاحظات.

فإذا كان كلام كهذا لا يقال فى مثل هذا الكتاب فهل هنالك من ملاحظات على تاريخ لنكولن الذى كتبه الأستاذ الخفيف أهون من هذه الملاحظات!

عباس محمود العقاد

في التوراة ؟ ومن كتب التوراة ؟

خرج موسى بالإسرائيليين من مصر في سنة ١٢٥٠ تقريباً قبل المسيح أي منذ ٣٢ قرناً . وفي ذلك الوقت لم يكن فن الكتابة بالحروف قد اخترعه الفينيقيون . كان الكهنة والحكام في مصر ينقشون على الحجارة بالرسوم الهيرغليفية أسماء الملوك وسني حكمهم ونحو ذلك . وكان البابليون ينقشون على الآجر النيء مثل ذلك بالحرف المسماري ثم يحرقونه . فلم يكن لا في الخط الهيرغليفي الذي هو رسوم أشياء تدل على الأشياء ، ولا في الحرف المساري الذي ليس أرق من الخط الهيرغليفي ، ما يحتمل أن تكتب به أسفار التوراة الضخمة . والذين بحثوا في هذا الموضوع وصلوا إلى نتيجة لا تقبل الشك وهي : أن الأسفار الخمسة التي أسندت إلى موسى لم يكتبها موسى ولا كُتبت في زمن موسى لأن حروف الكتابة لم تكن قد اخترعت بعد .

والمجمع عليه الآن في هذا الموضوع : أن اليهود الذين عادوا من سبي بابل سنة ٥٢٧ قبل المسيح أي بعد ١٧٧٣ سنة من خروج موسى بشعبه من أرض مصر ، يعني بعد نحو ١٨ قرناً هم الذين شرعوا يكتبون تلك الأسفار الخمسة مقتبسين فيها أساطير البابليين وشرائعهم وخرافاتهم وعاداتهم . وقد طبقوها على ملتهم من أسطورة الخليقة إلى أسطورة الطوفان إلى غيرها . وشريعتهم في سفر تثنية الاشتراع تكاد تكون حرفاً بحرف من شريعة حورابي العربي الذي غزا أشور وبابل ، وحكم هو وخلفاؤه فيهما نحو مائة سنة .

فهذه الحجة التي يتمسك بها اليهود لم يكتبها موسى ولا كتبها أحد لعهد موسى ، بل هم اليهود الذين عادوا من السبي كتبوها في سنين بعد موسى بثمانية عشر قرناً . وليس عندهم سند واحد يثبت أن ما نسبوه إلى موسى هو قول موسى ، ولا سند واحد يؤيد أن ما نسبوه إلى يهوه قاله يهوه . فهم كتبوا ماشاءوا مما تسلسل إليهم من أقوال الأجداد ومما تصوروه مناسباً لهم من تقاليد ما بين النهرين وما تخيلوه يؤيد عقائدهم الدينية والاجتماعية ووعدوا أنفسهم ما شاءوا أن يكون ميراثاً لهم وملكا وفي إمكاني أنا أن أكتب حجة لي بفندق شبرد أو ميناهوس وغيرهما حتى إنه يمكنني أن أكتب حجة بملكية سراي عابدين وبعد قرن أو قرون يقوم حفدائي يطالبون بهذه الأملاك بموجب هذه الحجج . فمن يقبلها ؟

وهب أني أخذت حجة من صاحب فندق ميناهوس ، فمن يقبلها بعد ثلاثة آلاف سنة ؟

فالتوراة كما وصلت إلينا على يد اليهود ليست حجة بأن يهوه قالها وموسى كتبها إذ ليس عندنا إسناد بهذا .

ولما رأى اليهود أن حجة التوراة أصبحت واهية بعد تشتتهم وخيبة آمالهم في أرض الميعاد ودولة إسرائيل ولا سيما بعد أن صارت بين أيدي النصارى والمسلمين تنكبوا عنها كأساس لدينهم واخترعوا التلمود فصار أساساً لدينهم ، ونقحوه مراراً حسب مقتضيات الزمن . وأخيراً لما رأوا أن التلمود ليس أقوى حجة من التوراة جمعوا أساطينهم في مؤتمرات متعاقبة ووضعوا « مواثيق شيوخ صهيون » (البروتوكولات) التي كتبت بعضها في (الرسالة) وعقبت عليها .

والغريب أنه ليس في تاريخ مصر ولا في غير مصر أن شعباً غريباً يدعى شعب إسرائيل خرج من مصر بقيادة زعيم اسمه موسى أقنع فرعون بمعجزاته أن يسمح لهم بالخروج .

ليس لهذا الحادث ذكر في تاريخ من تواريخ الأمم ولا أشارت إليه إلا ما ورد في التوراة التي كتبت بعد ١٨ قرناً لخروجهم كما زعموا .

مع ذلك لم تطبق حوادث اليهود على تلك الوعود المنصوصة في التوراة .

فأولا لم يفتح اليهود بعد دخولهم أرض الميعاد إلا بعض بقاع منها بعد حروب عنيفة . فلماذا لم يطرد يهوه من أمامهم الكنعانيين والجرزيين الخ كما وعدهم ؟

ثانياً : لم يقيموا في أرض كنعان أكثر من قرنين ثم سُبوا مراراً إلى بابل وغيرها . فما أقاموا فيها مدة تملكهم البلاد بحق وضع اليد .

ثالثاً : أن نسلهم لم يكثر كنجوم السماء . والمعروف الآن أن نجوم المجرّة تبلغ نحو ثلثمائة ألف مليون نجم وهم لا يبلغون بعد ٣٦ قرناً أكثر من ١٦ مليوناً

رابعاً : أن اليهود منـذ خرجوا من مصر ودخلوا أرض كنمان (إن كانوا دخلوا وخرجوا) ما كفوا عن عبادة البعل (الذهب) وأغضـبوا يهوه مراراً . هرون صنع لهم عجـلاً من ذهب وهم يصنعون كل يوم ألف عجل . سلهم هل حفظوا شيئاً من وصايا الله ؟ هل يوجد الربا الفاحش عند غيرهم ؟ هل هم إنسانيون كما يريد الله ؟

خامساً : تشتتوا على وجه الأرض . فلماذا تشتتوا إذا كانت أرض كنمان لهم بموجب صك من الله ؟ لماذا لم يبقوا فيها فلا ينازعهم أحد عليها ؟ أصبحوا حيثما نزلوا كانوا رغم أنوفهم من مواطنى ذلك المهجر مكروهين لأنهم كارهون لـكل من ليس يهوديا وأبوا أن ينتموا إلا لدولة يهودية وإلا أن يكونوا من رعايا دولة صهيون القائمة فى الهواء .

فهل بعد مرور هذه القرون كتبت لهم ملـكية فى فلسطين ؟ وهل تقوم لهم حجة بملـكيتها ؟

اليهود يفهمون هذا كما نفهمـه نحن ، وإنما يريدون أن يتمحكوا بهذه السخافات ما دام بين نصارى أمريكا المغفلين من يقولون إن الـكتاب المقدس يعطيهم هذا الحق ، ومن قدس هذا الـكتاب . ومن كذب عن لسـان الله غيرهم ؟ وقد حقق الله وعده لهم فأدخلهم أرض كنمان فلماذا هجروها ؟

واليهود أنفسهم لم تبلغ بهم السخافة أن يقدموا هـذه « الحجـة التاريخية المقدسة » لقضاة هيئـة الأمم لأن هؤلاء يتورعون أن يكونوا أضحوكة الأمم وإن لم يتورع بعض سخفاء نصارى أمريكا عن الاعتراف بهذه السخافات .

ولـكن هل يجسر هؤلاء اليهود الأفاكون أن يقدموا هذه « الحجة الـكتابية » للـكونت برنادوت ؟ وهل يعيرها أذنا إلا بالتحقير لقائليها ؟

إن أهل فلسطين الحاليين هم سكانها الأصليون . كانوا منذ عهـد موسى إلى عهد المسيح يهوداً ووثنيين . ولمـا جاء المسيح تنصر بعضهم . ولما جاء الإسلام أسـلم معظمهم فما خرجوا من أرضهم . وأما القادمون من الغرب فما كانوا إلا وثنيين ، فلما احتـكوا باليهود الشتتين ورأوا أن اليهود يعبـدون إلهاً غير منظور رأوا أن عبادة الأصـنام سخافة فتهود بعضهم ، ومنهم أسلاف الغزاة البولونيين وأمثالهم

إن هؤلاء اليهود لا يعرفون غير إله المال فـلا ننتظر منهم صدق وعد ولا حفظ عهد ، فقد مضى على الهدنة نصف عمرها وهم يصلبونها كل يوم عشرين صليباً

ولا ندرى ماذا يعنى برنادوت بقوله لهيئـة الأمم إنه مرتاح إلى تنفيذ الهـدنة كل الارتياح ، إلا إذا كان مسروراً من استغلال اليهود لها

ولا ندرى لماذا يطلب سفناً وطائرات إلا إذا كان ينوى أن يمكن اليهود من الاستغلال ، وإدخال بعض اليهود إلى البـلاد وحفظهم فى المعتقـل إلى أن يتدربوا ثم يطلق سراحهم لـكى ينضموا إلى الهاجاناه

وما معنى أن يستعد لاسـتلام حيفا من الجيش البريطانى ؟ هل وطد العزم على الإقامة فى فلسطين لـكى يحرس دولة إسرائيل؟

إن هـذه الألاعيب إذا جازت على الدول العربية فلا تجوز على الشعوب العربية ، الشعوب العربية تغلى الآن وتفور ، لا على اليهود ، بل على الجامعة العربية الصابرة حتى الآن على رذالة اليهود فقد ردت انتصار العرب عدة فراسخ إلى الوراء

(القاهرة) نقولا الحداد

العلاج بالطرق النفسية

للدكتور فضل أبو بكر

بدأت الظواهر النفسية منذ بدء خلق الإنسان فهي جزء منه صادرة عنه ، وكانوا يطلقون عليها فيما مضى العلوم الروحانية « Spiritualisme » وهي عبارة عن بعض الظاهرات النفسانية والروحانية مثل الوساطة وهي المصدر من وسيط « Médium » وهو شخص موهوب يملك القدرة بأن يكون حلقة الاتصال بين الموتى والأحياء ، إذ يناجي الحي روح ذوي قرابته وأصدقائه ممن توفاهم الله عن طريق ذلك الوسيط . ومنها ازدواج الشخصية التلقائي « Dédoublement Spontané de Personnalité » ومثال ذلك أن ترى رأي العين شخصاً بعيداً عنك بمناسبة حادث خطير وقع لذلك الشخص ، وتسمع صوته تماماً ، وهي رؤية وسمع يختلفان كل الاختلاف عما يراه ويسمعه بعض المجانين والمصابين بعُصاب أو ذُهان أو باختصار فإن تلك الظاهرة ليست « بالملوسية » البصرية أو السمعية وإنما هي ظاهرة ازدواج الشخصية التلقائي .

وقد اهتم بدراسة هذه الظاهرة بعض الإنجليز مثل « جيرني » « gurney » و « ميرز » « Myers » وهما عضوان في جمعية الأبحاث النفسية (البسيكولوجية) الإنجليزية ، ومن الفرنسيين « فلاماريون » و « لانسلن » « Lancelin » .

كل هذا كان معروفاً لدى القدماء ولا سيما الشرقيين مثل الهنود والصينيين وقدماء المصريين كما كانوا يطلقون على تلك العلوم التي تختص بدراسة مثل هذه الظاهرات الروحانية والنفسية العلوم المحجوبة « Les Sciences Occultes » حيناً ، والعلوم اللدنية العلوية في بعض الأحيان . وكانت في متناول فئة قليلة موهوبة تأتي من الأعمال في بعض الأحيان ما يشبه المعجزات وبستشف حجب الغيب الكثيفة .

وظهر في مستهل فجر النهضة العلمية بعض الفلاسفة ممن انقطعوا لدراسة الظواهر النفسية والروحية مثل « بلين » « Pline » و « بازيل » « Basile » والفيلسوف ابن سينا و « باراسلز » « Paracelse » وزعم هذا الأخير بأن من الممكن أن يؤثر عقل في عقل آخر بوساطة ما سماه وقتئذ « بالسائل المغناطيسي » .

وفي عام ١٧٧٠ جاء « مزمر » « Mesmer » بنظرية المغناطيسية « Magnetisme » ولقيت استعداداً في النفوس ضمن لها نجاحاً باهراً . وفحوى « المغناطيسية » أو « المزمرية » كما كانوا يسمونها ، أن كل جسم من الأجسام جماداً كان أو حيواناً تنبعث منه موجات مغناطيسية تكون في الحيوان أشد مما هي في الجماد ، وفي الإنسان أشد مما هي في الحيوان . وكلما كان الإنسان قوياً سليماً كانت قوة الأشعاع عنده أكبر ، وما الأمراض إلا اضطراب يعتري توازن تلك المغناطيسية في الإنسان ، كما أن لبعض الناس القدرة — بواسطة اللمس — على أن يعيدوا توازن مغناطيسية المريض ومن ثم يحدث الشفاء .

وقد سادت نظرية المغناطيسية العالم أكثر من نصف قرن ، وكانت تستعمل في التنويم وفي علاج بعض الأمراض . وظهر من بعد « مزمر » « لافونتين » الذي نسج على منوال مزمر إلى أن جاء في سنة ١٨٤١ الطبيب الإنجليزي « بريد » « Braid » وحضر ذات يوم جلسة خاصة بعمليات المغناطيسية التي يقوم بها « لافونتين » فقام « بريد » بدوره بعدة عمليات ووصل إلى نتائج مشابهة مع أنه لم يستخدم الطرق التي استعملها لافونتين ، وأنكر في الوقت نفسه وجود السائل المغناطيسي والمغناطيسية الحيوانية التي كان يعتقد فيها من سبقوه كمزمر ولافونتين ، والتي سادت العالم مدة طويلة . وسمى بريد تلك الظاهرة بالنوم « Hypn - ose » وطريقة الحصول عليها « بالتنويم » « Hypnotisme » واعتنق مذهب بريد كل المشتغلين بعلم النفس والروحانيات في ذلك الحين ، كما أقرته الجامعات رسمياً وأدخلت دراسته في كليات طبها ولا سيما في باريس .

ثم جاء العالم الفرنسي الأستاذ « شاركو » « Coarcat » ومساعده الأستاذ « بيتر » « Pitres » في كلية الطب بباريس ومستشفى « السالبتريير » الخاص بالأمراض العصبية ، كما أن شاركو ومدرسته استعملوا ظاهرة التنويم في الكثير من مرضاهم واستعانوا بها في العلاج وخاصة لمن كان مصاباً بالهستريا والصرع

وبعض الأمراض العصبية والذهنية الأخرى .

وقد برزت فى الميدان مدرسة « نانسى » بفرنسا تزاحم مدرسة باريس وكان على رأسها الأستاذ « ليبول » « Liebeault » الذى خطا بهذا النوع من الدراسات النفسية خطوات واسعة ودعمه بأسس ثابتة متينة كا طبعه بطابع علمى وأثبت أن التنويم ما هو إلا وليد الإيحاء المباشر وهو ما سماه « بالتنويم النفسى » « Hypnotisme Psychique » ليميزه بذلك عن تنويم شاركو « الحسى » أى الذى يؤتى به عن طريق الحواس مثل البصر والسمع واللمس .

والأيحاء كما يعرفه « برنهايم » « Bernheim » هو عبارة عن ظاهرة نفسية يوحى فيها للانسان بفكرة أو رأى يقبله عقله فيستولى على نفسه ومشاعره . ولكى نعطى القارىء فكرة أوضح نقول إن النشاط النفسى (البسيكولوجى) يشمل عاملين مختلفين متضادين هما عامل « الشعور » « Conscience » أو الوعى ، و« اللاشعور» « Sub - Conscience » . فالأول هو عامل التفكير والتمييز والحكم على الناس والأشياء ، وهو طوعى إرادى يتغلب على الثانى فى حالة الصحو ، وأما الثانى أى اللاشعور فهو آلى غير إرادى ، وهو أداة للحب والهوى ومكمن للعواطف والمخاوف والخيال والذاكرة .

أما أثر الأيحاء فى النشاط البسيكولوجى أى فى الشعور واللاشعور فهو إضعاف الأول وشل نشاطه مع إيقاظ الثانى وإثارته لأكبر درجة ممكنة. وهذا مايحدث تماماً فى النوم العادى الطبيعى إذ يضعف مفعول الشعور رويداً رويداً حتى إذا ما وصل النائم إلى سبات عميق زال أثر الشعور بتاتاً ، أما اللاشعور فيكون فى هذه الحالة فى حالة نشاط عظيم ويقظة تامة .

وإثارة الأيحاء ومداه والانتفاع من ذلك فى العلاج ، كل ذلك يتوقف على عوامل كثيرة من جانب الموحى والموحى إليه ، فيجب على الأول أن يكون ملماً بأوليات علم النفس ، كما يجب أن يكون بارز الشخصية قوى الإرادة صبوراً ، كما يتوقف على مبلغ حساسية الموحى إليه واعتقاده بل ثقته بمقدرة الموحى . ويتفاوت الناس فى درجة الحساسية . وكان « شاركو » يعتقد بأن مرضى الهستريا والمُصاب والذُّهان هم الذين يسهل تنويمهم . والواقع أنهم أشد حساسية من غيرهم . وإن كان الأصحاء — إذا توفرت فى الموحى والموحى إليه الشروط المذكورة — قلما يخرجون عن محيط سلطانه ويقعون تحت براثنه .

أما تطبيق هذه الظاهرات على العلاج فقد اهتدى الإنسان إليه بالسليقة منذ عصور عريقة فى القدم ، وما زالت تلك الطرق بدائية لدى الشعوب البدائية مثل التمائم والتعاويذ لجلب النفع ودفع الأذى وقضاء الحاجة ، والسحر والحسد لجلب الأذى وإلحاق الضرر ، والعرافة للكشف عما يخبئه الغيب وعما يتمخض عنه المستقبل ، كل ذلك عوامل وطرق نفسية من غير صقل ولا تهذيب وإن كان من المغالاة أن ننكر على تلك الطرق بعض النتائج الباهرة التى يحصل عليها بعض من يمارسونها .

هذا ، وقد ثبت عملياً وأصبح فى حكم البدهيات معرفة الصلات الوثيقة التى تربط الانفعالات النفسية بالظواهر الفسيولوجية وتأثيرها تأثيراً مادياً عضوياً ؛ ومع ذلك فليسمح القارىء بأن نضرب له بعض الأمثلة : إذا فوجىء إنسان بخبر محزن وصدمة عنيفة ، فقد يشعر بجفاف فى حلقومه إذ يغيض معين سائله اللعابى ويقف إفرازه ؛ أو فى حالة الفزع والخوف يصاب بإسهال ويشعر بحاجة ملحة إلى التبول ؛ أو أن يسيل فيض من الدمع على خده فى حالة الحزن ، كل هذه الأمثال المعروفة المألوفة وكثير غيرها يؤيد سلطان العوامل النفسانية على الجسم وفسيولوجيته .

والآن أذكر للقارىء بعض الأمثلة التى تستعمل فيها الظواهر النفسية كعوامل للعلاج .

١ — استخدامها فى التخدير الجراحى :

هنالك بعض الحالات الجراحية لا يمكن فيها استعمال مخدر كيانى ؛ إذ أن بعض المرضى لا يتحملون تخديراً كلياً ولا موضعياً لأن أجسامهم من حيث القلب والرئة مريضة هزيلة ، وقد كنت شاهد عيان سنة ١٩٣٥ ، فى إحدى مستشفيات مونبلييه حين أريد إجراء عملية فى الحال لفتاة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرها أصيبت بالتهاب حاد فى مصيرها الأعور ، وكانت ضعيفة القلب هزيلة الرئتين لحد لا يسمح بتنويمها بالمخدر ، ولابد من إجراء العملية فى الحال لانقاذ حياتها المهددة ، فلم ير الأستاذ إتيين « Etienne » وكان أستاذاً لجراحة الأطفال ، بداً من الالتجاء إلى التنويم النفسانى من طريق الأيحاء والخطوات التى وصل بها إلى ما أراد هى :

حدج الفتاة بنظرات قوية ثاقبة لمدة لا تتجاوز بضع ثوان ، ثم صاح بها فى صوت جهورى متزن مطمئن ثلاث مرات بأنها سوف لا تشعر بأقل ألم ، ومن ثم وضع على وجهها القناع الخاص بالتخدير العادى لإيهامها فقط ، ولم يصب عليه نقطة واحدة من المخدر وأمرها أن تعد من واحد إلى عشر . وما إن وصلت إلى الرقم السادس حتى اختفى صوتها ، ووقعت فى نوع هادىء عميق ، وأجريت العملية فى ظروف مؤاتية وأنقذت حياتها . وقد قرأت عن بعض حالات مشابهة فى جراحة طب الأسنان

٢ — *استخدام الأيحاء فى تخدير الآلام الجسدية :*

نجحت طرق الأيحاء عن طريق التنويم أو بدونه فى تخدير الآلام المبرحة بل فى إزالتها نهائياً فى بعض الأحيان . ويذكر الأستاذ « جاجو » « Jagot » وهو من المشتغلين بعلم النفس أنه دعى ذات ليلة فى ساعة متأخرة لرجل كان يسكن الطابق الأعلى من البيت الذى كان يقطنه ، وكان الرجل يتلوى من ألم مبرح فى ضرسه لم يقو على احتماله إلى حد أن سمح لنفسه بإزعاج الأستاذ فى مثل تلك الساعة مع علمه بأنه ليس بطبيب أسنان ، ولكنه كان يؤمن بمقدرته النفسانية ، فهب الأستاذ إلى نجدة الرجل وأمكنه إزالة آلامه وإعادة الطمأنينة إلى نفسه عن طريق الأيحاء

٣ — *العلاج النفسانى لعضو فقد وظيفته :*

مثل هذه الحالات كثيرة . وسأذكر مثلا شاهدته هنا بنفسى فى هـذه الأيام وهو ما أثارنى إلى كتابة هذا البحث ، وقد وقع فى إحدى مستشفيات بوردو مع الأستاذ العالمى الكبير « جورج بورتمان » « G . Portmann » وهو يعد أكبر حجة فى العالم أجمع لأمراض الأنف والأذن والحنجرة — أتت صباح يوم سيدة تصحب ابنتها وكانت تشعر ببحة فى الصوت على أثر صدمة نفسية غرامية أفضت إلى قبض الصوت وفقدانه تماماً « Aphonie Complète » وقد فحصها الأستاذ بدقة تامة شأنه مع كل المرضى كما فحصناها من بعده فلم نر غير حنجرة سليمة ، ليس بها علامة لمرض أو أثر لالتهاب ؛ وأوتار الحنجرة كذلك فى حالة طبيعية ، فأدركنا أن هذا النوع ليس عضوياً وإنما هو وظيفى أو هستيرى كما يسمونه ؛ فاستعمل معها طريقة الأيحاء ، وكانت دهشتنا شديدة إذ رأينا الفتاة وقد تم شفاؤها وعاد صوتها فى اليوم الثالث إلى حالته الأولى .

وأظن القارىء قد سمع شيئاً عن مدينة لورد « Lourdes » بفرنسا وهى مدينة صغيرة يقال إن العذراء مريم ابنة عمران قد ظهرت فيها . وقد يكون ذلك عن ظاهرة ازدواج الشخصية كما أسلفنا فى مستهل المقال . وقد حدثت الرؤية لفتاة سميت فيما بعد بالقديسة « برنادوت » وكانت فى حالة تامة من اليقظة متمتعة بقواها العقلية . فأصبحت مدينة « لورد » على أثر هذا الحادث أرضاً مقدسة وموطناً للحج يؤمه الزوار و « الحجاج » من المسيحيين من كل حدب وصوب بقصد التبرك وقضاء الحوائج وشفاء الأمراض ، وإن بعض الحالات المرضية قد تم علاجها فى تلك المدينة — والمريض هنالك يحضر تحضيراً خاصاً قبل ذلك بأيام وتعرض عليه الصور الفوتوغرافية للمرضى الذين شفوا من مرضهم ولا سيما من كان منهم مصاباً بداء المريض الذى ينشد الشفاء ، كما تلقى عليه دروس خاصة وكل ما من شأنه أن يضاعف اعتقاده ويقوى إيمانه ، ومن ثم يسمح له بالاستحمام فى حوض يحوى « الماء المبارك » . وقد دلت الإحصائيات على أن بعض المرضى قد تحسنت حالتهم ، كما تم شفاء البعض — وإنى من غير أن أتعرض للناحية الدينية من الموضوع أقول بأن العامل النفسانى من إيحاء وغيره يلعب دوراً هاماً فى مثل هذه الأحوال .

٤ — *العلاج البسيكولوجى فى التربية :*

وهو ما يسمونه بالثقافة النفسية . استعملت هـذه الطرق فى تربية الناشئين بل والكبار لعلاج الكثير من الأمراض النفسية مثل ضعف الأرادة والتردد وفرط الحياء والجبن والتهور وضعف الذاكرة ، وغير ذلك من الأمراض والنقائص النفسية ؛ وقد أتت بنتائج مشجعة كما استخدمت فى عالم الفن والتمثيل ، وخلقت من البعض فنانين تبدلت شخصياتهم تماماً عما كانوا عليه من قبل مما أدى إلى نجاحهم وشهرتهم فى مهنتهم .

وخلاصة ما تقدم أن العلاج النفسى حقيقة لا ريب فيها ، وليس نوعاً من الدجل والشعوذة كما كان يظن البعض ؛ وهو يزداد أهمية يوماً بعد يوم ، ويتطور بتطور علم النفس والوصول إلى غوامضه ، كما أنه من المعقول أن نعقد عليه آمالا كبيرة فى المستقبل القريب .

(باريس) **فضل أبو بكر**

عضو بعثة فاروق الأول السودانية بفرنسا

مخطوط لم يعرف من قبل

ابن سينا والبعث

للاستاذ سليمان دنيـــا

عرض الغزالى فى كتابه « تهافت الفلاسفة » لفكرة البعث عند الفارابى وابن سينا وروى عنهما أنهما يقولان باستحالة البعث الجسمانى ، لأنه لا يمكن فى نظرهما إلا على واحدة من صور ثلاث :

الأولى : « أن يقال : الإنسان عبارة عن البـدن ، والحياة — التى هى عرض — قائمة به » . ثم أبطل هـذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهذا ظاهر البطلان ، لأنه مهما انعدمت الحياة والبدن ، فاستئناف خلقهما إيجاد لمثل ما كان ، لا لعين ما كان »

الثانية : « أن يقال : النفس موجودة ، وتبقى بعد البدن ، ولـكن يرد البدن الأول بجمع تلك الأجزاء بعينها » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « لا يخلو : إما أن يجمع الأجزاء التى مات عليها فقط ، فينبغى أن يعاد الأقطع ومجدوع الأنف والأذن وناقص الأعضاء كما كان ، وهذا مستقبح ، ولا سيما فى أهل الجنة . وإن جمع جميع أجزائه التى كانت موجودة فى جميع عمره ، فهو محال من وجهين :

أحدهما : أن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان ، وقد جرت العادة به فى بعض البـلاد ، ويكثر وقوعه فى أوقات القحط ، فيتعذر حشرهما جميعاً ، لأن مادة واحدة كانت بدناً للمأكول ، وصارت بالغذاء بدناً للآكل ، ولا يمكن رد نفسين إلى بدن واحد . بل لا يحتاج فى تقرير هذه الاستحالة إلى أكل الناس الناس ، فإنك إذا تأملت ظاهر التربة المعمورة علمت بعد طول الزمان أن ترابها جثث المـوتى قد تربت وزرع فيها وغرس ، وصارت حباً وفاكهة ، وتناولتها الدواب فصارت لحماً ، وتناولناها فصارت أبداناً لنا ، فما من مادة يشار إليها إلا وقد كانت بدناً لأناس كثير ، فاستحالت وصارت تراباً ، ثم نباتاً ، ثم لحماً ، ثم حيواناً .

والثانى : أنه يجب أن يعاد جزء واحد ، كبداً وقلباً ، ويداً ورجلا ، فإنه ثبت بالصناعة الطبية أن الأجزاء العضوية يتغذى بعضها بفضلة غذاء البعض ، فيتغذى الـكبد بأجزاء القلب ، وكذلك سائر الأعضاء » .

الثالثة : « أن يقال : المعاد هو رد النفس إلى بدن إنسانى ، من أى مادة كانت ، وأى تراب اتفق » . ثم أبطل هذه الصورة على لسانهم قائلا : « وهو محال من وجهين :

أحدهما : أن المواد القابلة للـكون والفساد محصورة فى مقعر فلك القمر ، لا يمـكن عليها مزيد ، وهى متناهية ، والأنفس المفارقة للأبدان غير متناهية — أى بناء على نظرية قدم العـالم عندهم — فلا تفى بها .

والثانى : أن التراب لا يقبل تدبير النفس ، ما بقى تراباً ، بل لا بد أن تمتزج العناصر امتزاجاً يضاهى امتزاج النطفة .

ومهما استعد البدن والمزاج لقبول نفس ، استحق من المبادئ الواهبة للنفوس حدوث نفس ، فيتوارد على البدن الواحد نفسان — إحداهما هى نفسه الأصلية ، والأخرى هى التى استحقها حين صار من جديد بدناً ذا مزاج ؛ فإن من شأن العقل الفعال عندهم أن يفيض على المادة ، حين تصبح ذات مزاج ، نفساً مناسبة لذلك المزاج : نباتية ، أو حيوانية ، أو إنسانية — وبهذا بطل مذهب التناسخ . وهذا المذهب هو عين التناسخ ، فإنه رجع إلى اشتغال النفس ، بعد خلاصها من البدن ، بتدبير بدن آخر غير البدن الأول ، فالمسلك الذى يدل على بطلان التناسخ ، يدل على بطلان هذا المذهب » .

* * *

هذا ما يرويه الغزالى عن الفارابى وابن سينا ، ولـكنا إذا رجعنا إلى « الشفاء » لابن سينا وجدناه يقول فيه : الفن الثالث عشر ، إلهيات ص ٦٣٤ ط الهند : « يجب أن يعلم أن المعاد منه ما هو مقبول من الشرع — وفى نسخة : مقبول فى الشرع — ولا طريق إلى إثباته إلا من طريق الشريعة ، وتصـديق خبر النبى ، وهو الذى للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا يحتاج إلى أن تعلم ، وقد بسطت الشريعة الحقة التى أتانا بها نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، حال السعادة والشقاوة التى بحسب البدن .

ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهانى ، وقد صدقته النبوة ، وهو السعادة والشقاوة الثابتان بالقياس اللتان للأنفس ، وإن كانت الأوهام منا تقصر عن تصورها الآن لما نوضح من العلل والحكماء الإلهيون رغبتهم فى إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم فى إصابة السعادة البدنية ، بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك . فلنعرف حال هذه السعادة ، والشقاوة المضادة لها ؛ فإن البدنية مفروغ منها فى الشرع ... »

وورد كذلك فى النجاة ص ٤٧٧ ط الكردى هذا النص بلفظه وحروفه .

***

ومن كل هذه النصوص يظهرلنا تناقض واضح بين ما يقوله ابن سينا عن نفسه فى « الشفاء » و« النجاة » وما يقوله الغزالى عنه فى كتابه « التهافت » ، فهو يقول عن نفسه : إن البعث الجسمانى ممكن وواقع ؛ والغزالى يقول عنه : إن البعث الجسمانى مستحيل .

وهنا يطرأ على بال الباحث المتفحص سؤال لا بد منه ، هو : هل الغزالى متقول على الفلاسفة غير أمين فى نقله عنهم ؟ ! أم أن لهذه المسألة عند ابن سينا سراً خفياً يتطلب الصبر والأناة حتى يوقف على غوره ودخيلته ؟ أعنى : هل المسألة عنده ظاهر وباطن ، ظاهر يكشفه للعامة ، وباطن يحتفظ به لنفسه ، ولمن يؤهلهم استعدادهم لفهمه ، وعن هذا الظاهر تحدث الشفاء والنجاة ، وعن هذا الباطن نقل الغزالى ؟!-

كلا الأمرين جد خطير ، لا ينبغى أن يصار إليه عن طريق الظنون والتخمينات ، فإن الظنون والتخمينات لا توصل إلى العلم الصحيح ، وإنما ينبغى أن يصار إليه عن طريق التثبت واليقين

***

قد يحتال لإزالة هذا التعارض فيقال : إن ابن سينا نفسه نزع الوثوق من كتاب « الشفاء » ، ولم ير فيه معبراً عن أفكاره ومعتقداته ، بل يراه معبراً عن أفكار المشائين ونزعاتهم . ومتى صح ذلك لم يجدر بنا اعتبار ما ورد فيه مصوراً لأفكار ابن سينا وذلك حيث يقول فى مقدمة « منطق الشرقيين » :

« ... وبعد ، فقد نزعت الهمة بنا إلى أن نجمع كلاماً فيما اختلف أهل البحث فيه ، لا نلتفت فيه لفت عصبية أو هوى ، أو عادة أو إلف ، ولا نبالى من مفارقة تظهر منا لما ألفه متعلمو كتب اليونانيين إلفا عن غفلة وقلة فهم ، ولما سمع منا فى كتب ألفناها للعاميين من المتفلسفة المشغوفين بالمشائين ، الظانين أن الله لم يهد إلا إياهم ، ولم ينل رحمته سواهم !

ولما كان المشتغلون بالعلم شديدى الاعتزاء إلى المشائين من اليونانيين كرهنا شق العصا ومخالفة الجمهور ، فانحزنا إليهم وتعصبنا للمشائين ، إذ كانوا أولى فرقهم بالتعصب لهم ، وأكملنا ما أرادوه وقصروا فيه ولم يبلغوا أربهم منه ، وأغضينا عما تخبطوا فيه ، وجعلنا له وجهاً ومخرجاً ونحن بدخلته شاعرون ، فإن جاهرنا بمخالفتهم ، فنى الشيء الذى لم يمكن الصبر عليه ، وأما الكثير فقد غطيناه بأغطية التغافل .

فمن جملة ذلك ما كرهنا أن يقف الجهال على مخالفة ما هو عندهم من الشهرة بحيث لا يشكون فيه ويشكون فى النهار الواضح ؛ وبعضه قد كان من الدقة بحيث نعمش عنه عقول هؤلاء الذين فى العصر ...

وما جمعنا هذا الكتاب — يعنى فلسفة الإشراقيين — لنظهره إلا لأنفسنا ، أعنى الذين يقومون منا مقام أنفسنا ، وأما العامة من مزاولة هذا الشأن ، فقد أعطيناهم فى كتاب الشفاء ما هو كثير لهم وفوق حاجتهم »

وكتاب النجاة صورة مصغرة لكتاب الشفاء وتلخيص له أثبت ذلك البحث والتمحيص ، فالوثوق به من نوع الوثوق بكتاب الشفاء وفى درجته .

وأكثر من ذلك أن ابن سينا فى نفس الشفاء ص ٦٤٧ ، والنجاة ص ٥٠١ ، صرح بأن نصوص الشرع فى مسألة المعاد يجب أن تتلقى بحيطة وحذر ، إذ أنها نزلت عند مستوى عقول العامة ، فصورت لهم أمر المعاد بالصورة التى يستطيعون فهمها ، لا بالصورة التى هو عليها فى نفس الأمر ، استمع إليه يقول :

« وكذلك يجب أن يقرر عندهم — أى يجب أن يقرر النبى عند العامة — أمر المعاد على وجه يتصورون كيفيته وتسكن إليه نفوسهم ويضرب للسعادة والشقاوة أمثالا مما يفهمونه ويتصورونه وأما الحق فى ذلك فلا يلوح لهم منه إلا أمر مجملا ، وهو

أن ذلك شيء لا عين رأته ولا أذن سمعته ، وأن هناك من اللذة ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم » .

والنص بنفس هذه الحروف والكلمات وارد في الكتابين .

أضف إلى ذلك أن ابن سينا صرح في الإشارات بما يفيد أن المعاد بالروح وحده دون الجسم ، قال في ص ١٩٥ ط ليدن : « والعارفون المتنزهون إذا وضع عنهم درن مقارنة البدن وانفكوا عن الشواغل ، خلصوا إلى عالم القدس والسعادة ، وانتعشوا بالكمال الأعلى ، وحصلت لهم اللذة العليا » .

وفي ص ١٩٦ : « وأما البله فإنهم إذا تنزهوا خلصوا من البدن إلى سعادة تليق بهم ، ولعلهم لا يستغنون فيها عن معاونة جسم يكون موضوعاً لتخيلات لهم ، ولا يمنع أن يكون ذلك جسما سماوياً أو ما يشبهه ، ولعل ذلك يفضي بهم آخر الأمر إلى الاستعداد للاتصال المسعد الذي للعارفين » .

وفي ص ١٩١ : « فلا ينبغي لنا أن نستمع إلى من يقول : إنا لو حصلنا على حالة لا نأكل فيها ولا نشرب ولا ننكح ، فأية سعادة تكون لنا ؟ ! والذي يقول هذا ، فيجب أن يبصَّر ويقال له : يا مسكين ! لعل الحالة التي للملائكة وما فوقها ألذ وأبهج وأنعم من حال الأنعام ، بل كيف يمكن أن تكون لإحداهما إلى الأخرى نسبة يعتد بها ؟ ؟ »

بل إنه صرح في « الشفاء » و « النجاة » بمثل ما جاء في الإشارات . قال في النجاة ص ٤٨٥ : « فإذا فارقت — يعني فارقت النفس البدن — ولم يحصل معها ما يحصل به بعد الانفصال إلى التمام ، وقعت في هذا النوع من الشقاء الأبدي ، لأن أوائل الملكة العلمية إنما كانت تكتسب بالبدن لا غير ، وقد فات » .

وقال في ص ٤٨٨ : « وإن كانت مكتسبة للهيئات البدنية الردية ، وليس عندها هيئة غير ذلك ، ولا معنى يضاده وينافيه ، فتكون لا محالة ممنوة بشوقها إلى مقتضاها ، فتتعذب عذاباً شديداً بفقد البدن ومقتضيات البدن من غير أن يحصل المشتاق إليه ، لأن آلة ذلك قد بطلت ، وخلق التعلق بالبدن قد بقي » .

ونفس هذا النص قد ورد في الشفاء .

***

من كل هذا يخلص لنا :

أولا : إمكان اعتبار ابن سينا قائلا بالبعث الروحاني فقط ، وفي هذه الدائرة يصدق نقل الغزالي عنه .

ثانياً : أن ابن سينا غير متناقض في حديثه عن البعث ، ولكن له فيه ظاهر وباطن ، ومن لم يفطن لهذين الجانبين فيه ظنه متناقضاً ، وليس الأمر من التناقض في شيء .

ولكن ليس هذا هو كل ما يهم الباحث المتفحص في هذا المقام ، فليست إزالة التناقض بين نصوص ابن سينا المختلفة وإزالة التناقض بين حديث الغزالي عن ابن سينا وحديث ابن سينا عن نفسه — وإن أدخلت على تاريخ الفلسفة تكميلا كان يتطلبه — هي كل شيء في هذا المقام .

ذلك أن الغزالي لم يدع في كتابه « التهافت » أن ابن سينا منكر للبعث الجسماني وكفى ، إذ لو كان الأمر كذلك لكان في إزالة التناقض على الوجه السابق — وهو نتيجة بحثنا الخاص — غناء وأي غناء ، ولكن الغزالي أضاف إلى ابن سينا مع هذه الدعوى أدلة شققها تشقيقاً وفرعها تفريعاً ، فكان لا بد لتاريخ الفلسفة أن يعرف أمرين على جانب كبير من الأهمية :

أحدهما يتصل بابن سينا نفسه ليعرف التاريخ هل هذه الأدلة المعزوة إلى ابن سينا في كتاب (تهافت الفلاسفة) صحيحة النسبة إليه ؟ فإنه إن صحت نسبتها إليه ، جاز للتاريخ أن يقول على وجه القطع — استمداداً من هذه الأدلة وحدها — إن ابن سينا قائل باستحالة البعث الجسماني .

وثانيهما يتصل بالغزالي ، إذ قد عرض لكثير من الفرق المختلفة وناقشها وساق أدلة ودعاوى عزاها إليها ، وقد لا يتيسر الآن الرجوع إلى المصادر الأصلية لهذه الفرق . فهل الغزالي ثقة فيما ينقل ويروي ؟ أم تتسرب إلى نقله الريب وتحوم حوله الشكوك ؟ وهذا جانب هام يعني تاريخ الفلسفة أن يقف على وجه الحق فيه .

***

هذه ثغرة لم أجد — فيما قرأت — من حاول سدها في تاريخ ابن سينا وتاريخ الغزالي على السواء .

ابن سينا : هل قال ما نسب إليه الغزالي من أدلة إنكار البعث الجسماني ؟ !

والغزالى : من أين استقى هذه المعلومات ؟ !

ومما يزيد الأمر خطورة أن المسألة لم تقف عند ابن سينا والغزالى ، بل جاوزتهما إلى من أخذ عن الغزالى من علماء الكلام وإلى من دافع عن ابن سينا ، كابن رشد . فكان على علماء الكلام أن يعرفوا — قبل أن يرددوا — من أى المصادر استقى الغزالى هذه الأدلة التى يعزوها إلى ابن سينا ، فهل عرفوا ؟! .. وكان على ابن رشد أن يعرف – قبل أن يناضل ويدافع — هل ما نسب إلى ابن سينا صحيح النسبة إليه ، فهل عرف ؟! ..

***

ثغرة أدركتها أول الأمر ضيقة ، ثم ما زالت تتسع أمامى حتى وصلت إلى ما رأيت . ولشعورى القوى بحاجة تاريخ الفكر الإسلامى إلى سدها ، حاولت أن أسدها على أى وضع كان ، فقلت معلقاً على هذه الأدلة التى يعزوها الغزالى إلى ابن سينا ، وأنا أخرج كتاب « تهافت الفلاسفة » « هذا المثال — أعنى قوله : إن الإنسان إذا تغذى بلحم إنسان .. الخ — وغيره ، نجده موجوداً فى كتب الكلام بنصه وفصه ، فلعل علماء الكلام لم يرجعوا إلى كتب الفلاسفة نفسها — نظراً لأنى لم أجد فيما لدى من كتب الفلاسفة وقتذاك شيئاً من هذا الكلام — وإنما عولوا على هذا التصوير الذى اضطلع به الغزالى . على أنى أكاد أجزم بأن الغزالى فى تصوير وجهة نظر الفلاسفة ما كان يقف عند الحد المنصوص عليه فى كتبهم ، وإنما كان يفترض افتراضات ويذكر احتمالات ويناقشها ليخلص له : أن كل ما يمكن أن يقال على لسانهم فهو مدفوع مردود » .

وظل الأمر واقفاً عند هذا الحد : ثغرة تتطلب سداً محكماً من الفولاذ ، وضمت فيها لفافة من الخيش إلى أن تكفل هذا المخطوط بهذا السد الفولاذى .

وإلى اللقاء فى مقال تال — إن شاء الله — نحلله فيه ولنتعرف محتوياته .

سليمان دنيا

مدرس الفلسفة وعلم العقيدة

بكلية أصول الدين

نداء الفـــداء

أو أنشودة الجهاد فى حومة فلسطين

من الثنائية الحماسية التى هتف بها الشاعر على محمود طه وألف منها الموسيقار محمد عبد الوهاب لحنه الجديد « أنشودة فلسطين »

أخى ! جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا
أنتركهم يغصبون العروبـ ... ـة مجد الأبوة والسؤددا
وليسوا بغير صليل السيوف ... يجيبون صوتاً لنا أو صدى
فجرد حسامك من غمده ... فليس له بعدُ أن يغمدا
أخى ! أيها العربى الأبى ... أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخى ! أقبل الشرق فى أمة ... ترد الضلال وتحيى الهدى
أخى ! إن فى القدس أختاً لنا ... أعدّ لها الذابحون المُدى
صبرنا على غدرهم قادرين ... وكنا لهم قدراً مرصدا
طلعنا عليهم طلوع المنون ... فطاروا هباء وصاروا سدى
أخى ! قم إلى قبلة المشرقين ... لنحمى الكنيسة والمسجدا
« يسوع » الشهيد على أرضها ... يعانق فى جيشه « أحمدا »
أخى ! قم إليها نشق الغمار ... دماً قانياً ولظى مرعدا
أخى ! ظمئت للقتال السيوف ... فأورد شباها الدم المصعدا
أخى ! إن جرى فى ثراها دمى ... وأطبقت فوق حصاها اليدا
ونادى الحمام وجن الحسام ... وشب الضرام بها موقداً
ففتش على مهجة حرة ... أبت أن يمر عليها العدا
وخذ راية الحق من قبضة ... جلاها الوغى ونماها الندى
وقبل شهيداً على أرضها ... دعا باسمها الله واستشهدا
فلسطين يفدى حماك الشباب ... وجل الفدائى والمفتدى
فلسطين تحميك منا الصدور ... فإما الحياة وإما الردى !

على محمود طه

السيدة غريغورى

للأستاذ نجاتى صدقى

قال لى أحد معارفى ذات يوم : أذكر أننى قرأت لك منذ سنة تقريباً قصة بعنوان (الأب غريغورى)(١) وقد ختمتها بأن (كلاره) كانت تذهب كل يوم أحد إلى مقبرة صهيون بالقدس لتبكى القسيس الراحل . .

قلت — نعم ... وهل من عيب فى هذه الخاتمة ؟

قال — كلا . .

قلت — إذن ما هى رغبتك ؟

قال — أتشوق إلى معرفة مصير هـذه السيدة . وهل هى باقية على قيد الحياة ؟ . وهل تزوجت أم لا تزال على عهدها الذى قطعته لزوجها الشيخ وهو على أبواب الأبدية ؟ .

قلت — أتريد أن أضع ملحقاً للقصة ؟ .

قال — كلا ، ولكنى أحس برغبة ملحة فى معرفة ما تم لهذه السيدة التى وصفتها بأنها السحر الحلال ، والأنوثة المغرية

قلت — لا تزال السيدة غريغورى مقيمة على عهدها ألا تتزوج أحداً بعد الأب غريغورى ، فتمثاله ما فتىء معلقاً فى صدر غرفتها ، وصورة السيد المسيح لم تتزحزح عن مكانها منذ خمس سنوات ، وقنديل الزيت يواصل إضاءة أيقونة العذراء ليلا ونهاراً . أما خطاب السيدة غريغورى فكثيرون ، وأعرف منهم أربعة ، وإليك قصصهم :

الخاطب المثال :

جاءها فى بادىء الأمر مثال وقال لها : أتسمحين أيتها السيدة أن أصنع تمثالا نصفياً لزوجك الراحل ؟

فأظهرت كلاره ارتياحها لهذا العرض الكريم ، وأذنت له بصنع التمثال ، فصنعه ، وكان أبرز شىء فيه لحية الأب غريغورى ، ونصبته فى صدر غرفتها ... ثم قال لها المثال : أتسمحين أن أصنع تمثالا جانبيا (بروفيل) لوجهك الجميل ؟ ... فأبدت ارتياحها وموافقتها ، وأخذت تزوره كل يوم فى ستوديو عمله إلى أن تم صنعه ، وقد ظهرت فيه السيدة غريغورى بوجهها النحيف الكئيب ، وقد تدلى شعرها المشعث على صدغها ، وكان تمثالا أخاذاً مما حدا بأحد السياح الأمريكيين أن يبتاعه بثمن باهظ .

وقال لها المثال يوماً : أتسمحين لى أن أصنع تمثالا لجسمك بأكمله ليكون مثالا حياً لصنع الخالق جل جلاله ؟ .

قالت — هذا لن يكون . . فالمرحوم الأب غريغورى هو الشخص الوحيد الذى كنت أظهر أمامه كما خلقت ، وكثيراً ما كان يتحسس جسمي كالضرير ويقول : « سبحانك ربى على قدرتك فى تكوين الجمال ! » ... أما الآن فما قيمة هذا التمثال الذى تود صنعه لى ؟ . . كلا ، دع عنك هذه الفكرة .

قال المثال وقد ركع على ركبتيه : وهل لفنان مثلى أن يحتفظ بتمثالك الحى لنفسه ؟ ! . . إنك ضرورية لى لأستوحى منك الفن الرفيع ... هاك يدى يا كلاره فلا ترفضيها ، أتوسل إليك . . .

فأنهضته كلاره قائلة : لن أتزوج بعد الأب غريغورى أحداً . أما أنت فكفاك فخراً أنك صنعت تمثالا نصفياً للأب غريغورى حاز إعجابى . وصنعت لى تمثالا جانبيا (بروفيل) حاز إعجاب أحد الأمريكيين . وهذا وذاك أحسن دعاية لك كفنان كبير ... فاذهب الآن ترافقك السلامة ، وخير لك ألا تعود إلى بعد هذا اليوم .

الخاطب كاتب العرائض :

أما الخاطب الثانى الذى تردد على السيدة غريغورى فكان أحد كتاب العرائض وهو من معارف المرحوم زوجها ، فكان يزورها بين حين وآخر معزياً فيحمل لها بعض الهدايا ويجلس صامتاً لا يجرؤ على الأفصاح عما يخالج نفسه نحوها ، خشية أن تصده وتجرح شعوره ، إلا أن عينيه كانتا تتحدثان عن أمر ما .

وفى فجر أحد الأيام اقترب كاتب العرائض خلسة من مسكن السيدة غريغورى وأسقط رسالة فى صندوق رسائلها وفر . . ولما التقطتها قرأت فيها ما يلى :

« كلاره !

(١) راجع (الرسالة) العدد ٦٦٢

لدى ما أقوله لك ولكنى لم أجرؤ ، حينما كنت أتردد إلى بيتك ، على مفاتحتك بما كنت أفكر فيه من خطط ومشاريع .

والذى كنت أريد أن أبوح به إليك دون مواربة هو أننى أهيم بك يا فتاة أحلامى ... إننى أعجبت بك فى حياة المرحوم الأب غريغورى ، ثم أحببتك بعد وفاته . كم يؤلمنى أن أراك دائماً مطرقة حزينة ... فما الداعى إلى حزنك هذا ؟ وهل تتوقعين أن يعود القس إلى قيد الحياة ؟ أنسيه كما نسى هو زوجته وابنته من قبلك ! . فكرى فى مستقبلك وفى شبابك ونضارتك .

كلاره ! .

أنت وحيدة وأنا وحيد ... فلماذا لا نعمل معا على إزالة آلام وحدتنا هذه ؟ . . أنا أكسب من عملى شهرياً خمسة عشر جنيهاً ، وأنت تكسبين من عملك شهرياً عشرة جنيهات . فلماذا لا تصير مما خمسة وعشرين جنيهاً ؟!..

أجيبى أيتها العزيزة ... أجيبى هذا القلب الكسير ... وآمل أن أتلقى ردك بالبريد حتى أتحمل الصدمة ، السارة أو المؤلمة ، برباطة جاش » .

من المخلص لك أبداً

« ... »

وبعد أن قرأت السيدة غريغورى هذه الرسالة ذهبت بنفسها إلى حيث يعمل مرسلها وقالت له : تلقيت رسالتك ، أما جوابى فها كه ... وعركت الرسالة بيديها ، ثم قذفت بها فى الهواء ، وانصرفت تاركة كاتب الرسائل فى حيرة وذهول شديدين .

الخاطب القيصرى :

وكان الخاطب الثالث ضابطاً روسياً من ضباط القيصر نيقولا الثانى ، يدعى إيفان بوغانيرسكى ، وهو رجل فى حدود عمر الأب غريغورى تقريباً ، له عينان ناقبتان ، وشاربان طويلان ، ولحية متدلية من الخدين دون الذقن .

فبينا كانت السيدة غريغورى فى عصر يوم تجلس إلى جانب النافذة تقلب ما تركه المرحوم زوجها من آثار أدبية ، إذ بباب دارها يقرع قرعاً خفيفاً . ولما فتحته وجدت نفسها أمام ضابط روسى قديم ، يحمل بيد علبة حلوى وباقة زهور ، ويحمل باليد الأخرى قبعته ومنديله ... وبادر السيدة غريغورى قائلاً : إننى أحد أصدقاء المرحوم الأب غريغورى ، وقد اشتركت معه فى معركة تاننبرغ سنة ١٩١٨ ، وتذوقنا البؤس معا فى أزقة مونمارتر بباريس سنة ١٩٢٥ ... ورحلنا إلى فلسطين فى باخرة واحدة ، فصار هو قسا ، وبقيت أنا أمنى النفس بالعودة إلى روسيا .

فاضطربت السيدة غريغورى قليلا ، وأذنت لهذه الشخصية الغامضة بالدخول .

وبعد أن قدم الزائر الزهور وعلبة الحلوى لصاحبة البيت ، أطرق قليلا ، ثم انحدرت دمعة على خده فمسحها بمنديله وقال وهو يتنهد : رحمك الله يا غريغورى ! لقد كنت أعز صديق لى ، ثم قضى علينا أن نفترق ولا مرد لقضاء الله وقدره ... ولكن ثق يا أخى بأنى لن أنساك وستبقى ذكرياتك الطيبة عالقة فى خاطرى ما حييت .

وساد الغرفة صمت ، ثم قطعه الزائر بمخاطبته السيدة غريغورى قائلاً : بلغنى يا سيدتى أن عندك غرفة تودين تأجيرها ، فهل تجدين مانعاً يحول دون تأجيرى إياها ؟ ... أنت بحاجة إلى رجل ليدافع عنك ويعينك على تخطى مصاعب الحياة ... أنت بحاجة إلى مال ، وما من ريب فى أن معاشك لا يسد بعض نفقاتك . أرجو أن تأذنى لى باستئجار غرفة فى مسكنك وسأدفع أى مبلغ تطلبينه ، يضاف إلى ذلك أنك ستجدين إلى جانبك من يحدثك باللغة الروسية التى كان يعلمك إياها المرحوم غريغورى .

وساد الغرفة صمت مرة ثانية ... ثم نهضت السيدة غريغورى وأحضرت باقة الزهور وعلبة الحلوى وأعادتهما إلى السيد إيفان قائلة : إذهب وضع هذه الباقة على قبر صديقك إذا كنت توده حقاً ، ووزع هذه الحلوى بين الفقراء ليترحموا على روحه .

وشيعته إلى باب الدار الخارجى ...

الخاطب الفاسق :

أما الخاطب الرابع فكان يهوديا بولونيا صاحب خطة جهنمية ... فقد طرق بيت السيدة غريغورى عصر يوم وبرفقته امرأة وفتاة فى الثانية عشرة من عمرها ... فاستقبلتهم ربة البيت مرحبة بهم ، وبعد لحظات تبودلت فيها النظرات والابتسامات

استهل الرجل كلامه بأن ترحم على روح المرحوم زوجها ، وذكر محامده ومآثره ، ووصفه بأنه كان مثالا للنزاهة والاخلاص بين الناس ، غير أن الموت الذي اختطف روحه لا يتردد في اختطاف روح أي إنسان إذا ما حانت ساعته .

ولما قدمت السيدة جريجوري الشاي لضيوفها قال لها الرجل وهو يحرك الملعقة في قدحه : تجول في خاطري فكرة أود عرضها عليك ، وربما تجدين فيها بعض الغرابة أو الجرأة ، ولكنها مبنية على شعور عاطفي ، ولا تتنافى مع ناموس الاجتماع ... أنظري إلى هذه السيدة فهي زوجتي ، وانظري إلى هذه الفتاة فهي ابنتي ... إلا أنني غير راض عن حياتي الزوجية هذه ، وقد عقدت النية على أن أطلق زوجتي طلاقاً لا رجعة فيه ، وزوجتي توافقني على هجري إياها ، أليس كذلك يا راحيل ؟ ...

فطأطأت راحيل رأسها وأومأت بالإيجاب ...

ثم إن ابنتي سونيا تفضل طلاق أمها على أن يظل سوء التفاهم سائداً في منزلنا ... أليس كذلك يا سونيا ؟ ...

فطأطأت الفتاة رأسها وأومأت بالإيجاب أيضاً .

وهكذا ترين أيتها السيدة أنني آت لأطلق زوجتي أمامك ، ولأخطبك أمامها وابنتي شاهدة ... وقد انتهجت هذه الخطة لأختصر الطريق ، ولأزيل كل العقبات التي يمكن أن تعترض سبيل زواجنا .

وتناول الرجل جرعة كبيرة من الشاي ، ولعق ما علق على شاربيه من قطرات وتابع حديثه قائلاً : لقد أدركت مقدماً أنك ستقولين لي إنك متزوج ... وإن لك ابنة لا ترضى عن هجرك لأمها ، فقررت أن أحضرهما أمامك لأضع النقاط على الحروف كما يقول المثل ... فما أنا الإطالب حلال ، وبيتك الجديد في انتظارك ، والقول الفصل لك .

كانت السيدة جريجوري تستمع إلى كلام هذا الزائر وهي تقرض شفتيها بأسنانها وقد انفعلت انفعالا شديداً ، لكنها تمالكت نفسها وقالت للرجل بهدوء ورزانة أنها غير مستعدة لسماع مثل هذا الهذيان ، ونصحت الرجل أن يبحث عن عريس لأبنته وأشارت إليهم بالإنصراف .

وقد اتضح للسيدة جريجوري فيما بعد أن هذا الخاطب هو صاحب بيت للدعارة السرية ، وأن زوجته وابنته تميناته على نصب حباله وشباكه ... وإن « البيت الجديد » الذي كان في انتظارها ليس إلا بيت الفسق والموبقات .

* * *

قلت لمحدثي — هؤلاء هم الخطاب الأربعة الذين توددوا إلى السيدة جريجوري ، وكانت تصدم الواحد تلو الآخر ... ولعلك ترى فيهم نماذج بشرية مختلفة .

قال — أود سماع كلمة منك تفسر لي سلوك هذه المرأة من نفسها ، وسلوك هؤلاء الخطاب الشاذين منها .

قلت — السيدة جريجوري هذه مشكلة سيكولوجية ، فهي صبية مثقفة ، وفاتنة ، وفيها الشيء الكثير من الجاذبية الجنسية ، عاشرت قساً أكبر من أبيها ومات .

فهل وقعت هي فريسة الأب جريجوري عندما كانت في حالة من اللاشعور الجنسي ؟ ...

هل ثابت هي إلى رشدها بعد أن مات القس ورأت أنها ارتكبت حماقة بمعاشرتها إياه ، لكنها تكابر وتحاول أن تظهر بمظهر المرأة المخلصة للزوجية المثالية ؟

هل تشعر هي بأنها فشلت في هذا الزواج الذي أثار حولها الكثير من اللغط وتخشى السقوط مرة ثانية في زواج مماثل له ؟

هل تتوقع هي زوجاً يكون له من القوة ، والذكاء ، والجمال ، ما يعوض عليها معاشرتها لذلك الرجل الضعيف ، الخامل ، البشع وأخيراً ما الذي يحدو بها إلى الإحتفاظ حتى يومنا هذا ، بتمثال القس النصفي ، وبصورة المسيح معلقة على الحائط ، وإلى جانبها أيقونة يعلوها قنديل زيت مضيء ...

هذه أسئلة محيرة حقاً ...

أما خطابها فقد تكونت عندهم فكرة محدودة عنها ، مصدرها القس الراحل ، وهي أنها تميل إلى معاشرة الكهول والشاذين من الرجال ...

من تاريخ الطب الاسلامى

لصاحب السعادة الدكتور قاسم غني

سفير إيران بمصر

(تتمة)

قد استنبط الأستاذ براون من بيان هذه الحالة أن ابتلاء المريض بالحميات المخاطة مع وجود قشعريرة تتقدم الحمى كان سبباً فى أن ظن الرازى فى بادىء الأمر مرضه حمى (الملاريا) ولا سيما أنه كان فى بلاد تكثر فيها هذه الحمى . والحال أن هذه الأعراض لم تكن أعراض حمى الملاريا بل كانت نتيجة لمرض عفن ، وإن الرازى غير رأيه عند ما شاهد المدة فى بول المريض وتحقق لديه أن المرض خراج فى الكلى .

والغرض من استشهادنا بهذه الحادثة هو أن نبرهن على أن الأطباء كانوا يدرسون حالة المريض وأعراض المرض درساً وافياً دقيقاً وبهذه الطريقة كان طلاب الطب يتلقون من أساتذتهم درساً عملياً تجريبياً عن الطب وعلاج الأمراض المختلفة وفى نفس الوقت كان الطبيب يداوى المرضى ويزداد تجربة ومهارة فى عمله وكان الجميع يخدمون صناعة الطب ويساهمون فى ترقيتها بالدرس والبحث والتجارب المنظمة وفى القسم الداخلى من البيمارستانات عند ما كان يصعب تشخيص مرض مريض فى قاعة من القاعات وتدعو الحال استدعاء طبيب أو أكثر من القاعات الأخرى غير القاعة التى فيها المريض للاستشارة كان يدعى عدد منهم فيتداولون فى الأمر(١) .

وكان الأطباء يشتغلون فى البيمارستان بالنوبة ، فجبرئيل ابن بختيشوع كانت نوبته فى الأسبوع يومين وليلتين(٢)

وكانت دروس الطب تعطى على الأغلب فى البيمارستانات فيجلس الطبيب لفحص المرضى ومعاينتهم فيصف العلاج اللازم للمريض ويكتب له ويشرح كيفية استدلاله على المرض للحاضرين، وكان بين يديه المشارفون والعوامل لخدمة المرضى وكان كل ما يكتبه لكل مريض من المداواة والتدبير ونوع الطعام يوضع بجانب فراشه للرجوع إليه فى تنفيذه وإجرائه .

وكان الطبيب يدور على المرضى بالبيمارستانات ويتفقد أحوالهم ويصف لكل منهم علاجه وبعد فراغه من ذلك يأتى فيجلس فى مجلس خاص فى البيمارستان ويحضر كتب الاشتغال وكان جماعة من الأطباء والمشتغلين يأتون إليه ويقعدون بين يديه ثم يجرى مباحث طبية ويقرئ التلاميذ ولايزال معهم فى اشتغال ومباحثة ونظر فى الكتب مدة ثم يركب إلى داره(١) .

وكانت هذه الطريقة فى التدريس هى للمبتدئين من التلاميذ ؛ أما المشتغلون بالطب والمطلعون على كتبه ومن لهم بعض الاختبارات فى البيمارستانات فكانوا يحضرون مجلس درس الأستاذ ساعات كل يوم فيجرى البحث عن المواضيع الطبية المشكلة أو النادرة ويتداولون فيها علميا وفنيا بكل حرية .

وقد كان النظر فى بول المريض ، وكانوا يسمونه (القارورة) ، والاستنتاج من نظره ويسمونه (التفسرة) ، من الأمور الشائعة ولم يكن الأطباء يغفلون عنه .

وكانت للأطباء العرب فى هذا الباب مهارة كبيرة تدل على قوة استدلالهم وحسن استنتاجهم .

يقول ابن أبى أصيبعة : (أراد الرشيد أن يمتحن بختيشوع الطبيب أمام جماعة من الأطباء فقال الرشيد لبعض الخدم : « أحضره ماء دابة حتى نجربه » فمضى الخادم وأحضر قارورة الماء ، فلما رآه قال « يا أمير المؤمنين ليس هذا بول إنسان » قال له أبو قريش وقد كان حاضراً : « كذبت هذا ماء حظية الخليفة » فقال له بختيشوع (لك أقول أيها الشيخ الكريم ، لم يبل هذا إنسان البتة ، وإن كان الأمر على ما قلت فلعلها صارت بهيمة) فقال له الخليفة « من أين علمت أنه ليس ببول إنسان ؟ » قال بختيشوع « لأنه ليس له قوام بول الناس ولا لونه ولا ريحه » ثم التفت الخليفة إلى بختيشوع فقال له (ما ترى أن نطعم صاحب هذا الماء) قال « شعيراً جيداً » فضحك الرشيد ضحكا شديداً وأمر فخلع عليه خلعة حسنة جليلة ووهب له مالا وافراً وقال « بختيشوع يكون رئيس الأطباء كلهم وله يسمعون ويطيعون »(٢)

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الثانى صفحة ١٧٩
(٢) تاريخ الحكماء للقفطى صفحة ١٤٨

(١) طبقات الأطباء الجزء الثانى صفحة ١٥٥
(٢) طبقات الأطباء الجزء الأول صفحة ١٢٦

والخلاصة أن البيمارستانات لم تكن أعمالها قاصرة على معالجة المرضى فحسب ، بل إنها كانت أيضاً تقوم مقام مدارس الطب يتخرج منها الأطباء والكحالون والجراحون والمجبرون .

وكان لكل بيمارستان خزانة كتب أو مكتبة تحوى كثيراً من الكتب كانت فى متناول كل طالب علم ؛ وكان طالب الطب فى أول عهد الدولة الإسلامية بعد أن يتلقى أصول الطب على بعض مشاهير الأطباء ويقوم باختبارات شخصية وتجارب عملية كافية ويجد فى نفسه القدرة على مزاولة الطب يباشرها بعد أن يجيزه بعض الأطباء النابهين فى زمانه أو رئيس أطباء البيمارستان الذى كان يشتغل فيه .

ولم تكن هناك فى أول الأمر قيود خاصة أو امتحانات منظمة لإعطاء أجازة التطبب ؛ وإن أول من نظم هذه الصناعة وأخضعها لنظام خاص فى تأدية امتحان للحصول على أجازة التطبب هو المقتدر الخليفة العباسى ، وكان ذلك فى سنة ٣١٩ هـ . والسبب الذى دعا الخليفة إلى هذا العمل حسب رواية ابن أبى أصيبعة هو أنه اتصل به أن غلطا جرى على رجل من العامة من بعض المتطببين فمات الرجل ، فأمر الخليفة المحتسب بمنع سائر المتطببين من التصرف إلا من امتحنه سنان بن ثابت بن قرة رئيس الأطباء وطبيب الخليفة الخاص ، وكتب له رقعة بخطه بما يطلق له التصرف فيه من الصناعة . وبلغ عدد من ترددوا إلى سنان وامتحنهم وأطلق لكل واحد منهم ما يصلح له التصرف فيه من الصناعة ثمانمائة رجل ونيفاً وستين رجلا فى جانبى بغداد سوى من استغنى عن محنته باشتهاره بالتقدم فى صناعته وسوى من كان فى خدمة السلطان(١) .

وكان سنان بن ثابت يمتحنهم فيسأل كلا منهم بعض الأسئلة الطبية ويعرف معارفه ودرجة تمكنه فى الصناعة ، فيحدد له حدوداً يجيزه أن يتصرف ضمنها لا يتجاوزها .

وكانت الامتحانات الطبية فى ذلك العهد بسيطة جداً فيها كثير من التسامح والتساهل . يروى أنه دخل يوما فى مجلس سنان بن قرة كهل موقر مهيب الطلعة عليه سيماء أهل العلم ولباسهم فأخذ مكانه فى جانب من المجلس ، وكان مظهره يدل على أنه من أجلة العلماء . وبعد أن انتهى سنان من درسه ومعالجة المرضى خاطب تلاميذه قائلا : « علينا الآن بالاستفادة من فضائل مولانا الشيخ ، ولنستمع لجوامع كلمه لتبقى لدينا تذكاراً لتشريفه هذا المجلس » . ثم سأل الشيخ عن اسم أستاذه فاخرج الشيخ من جيبه بدرة من المال وضعها أمام سنان وقال لست يا سيدى من العلماء ؛ لكنى رب أسرة أريد أن أعيلها عن طريق التطبب . فاشترط عليه سنان أن يكون محتاطاً فى عمله فلا يفصد أحداً ولا يعطى من المسهلات إلا الأنواع الساذجة البسيطة منها . فقال الشيخ كانت هذه ولا تزال طريقتى فى التطبب فإنى لم أعط أحداً غير السكنجبين والجلاب ، فأعطاه سنان أجازة التطبب فى هذه الدائرة المحدودة التى ذكرناها .

وجاء غداة ذلك اليوم ضمن جماعة حضرت مجلسه لأخذ إجازات التطبب — شاب سأله سنان عن اسم أستاذه كما هى العادة فذكر اسم أبيه ، وكان الشيخ الذى ذكرنا قصته ، فسأله سنان عما إذا كان يسير على نهج والده . ولما رد عليه بالايجاب أجازه أيضاً للتطبب فى نفس تلك الحدود .

كان هذا فى بادئ الأمر لكن الحال لم تستمر على هذا المنوال وصار النظام بعد ذلك أن الطالب بعد أن يتم دروسه يتقدم إلى رئيس الأطباء برسالة فى الفن الذى يريد الحصول على الأجازة فى الاشتغال به له أو لأحد مشاهير الأطباء قد أجاد دراستها فيختبره فيها الطبيب ويسأله أسئلة عدة عن هذا الموضوع ، فإن استطاع اجتياز الامتحان أعطاه أجازة تطلق له التصرف فى حدودها .

ويذكر المرحوم الدكتور أحمد عيسى بك مؤلف كتاب (تاريخ البيمارستانات فى الاسلام) فى كتابه القيم المذكور الذى نشرته جمعية التمدن الإسلامى بدمشق سنة ١٣٥٧ هجرية أنه عثر فى خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد زكى باشا على صورتين لإجازتين طبيتين من القرن الحادى عشر من الهجرة منحت أحداهما لفصاد والأخرى لجراح(١) وها نحن أولاء نذكر هنا ملخصهما : —

(وهذه صورة ما كتبه الشيخ الأجل عمدة الأطباء ، ومنهاج الألباء ، الشيخ شهاب الدين ابن الصائغ الحنفى رئيس الأطباء بالبيمارستان

(١) طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ٢٢٢ .

(١) كتاب تاريخ البيمارستانات فى الاسلام صفحة ٣٠ ؛

المصرية إجازة للشاب المحصل محمد عزام أحد تلامذة الشيخ الأجل والكهف الأحول الشيخ زين الدين عبد المعطى رئيس الجراحين على حفظه لرسالة الفصد كما سنبينه : —

الحمد لله ومنه أستمد العناية .

الحمدلله الذي وفق من عباده من اختاره لخدمة الفقراء والصالحين وهدى من شاء للطريق القويم والنهج المستقيم على ممر الأوقات والأزمان إلى يوم الدين . وبعد فقد حضر عندى الشاب المحصل شمس الدين محمد بن عزام ... بن ... بن ... على المؤذن الجرداني (أو الجرداداني نسبة إلى جرداذان وهى محلة بمدينة أصبهان بإيران)(١) المتشرف بخدمة الجراح ، والمتقيد بخدمة الشيخ الصالح بقية السلف الصالحين العارفين وشيخ طائفة الجراحين بالبيمارستان المنصورى وهو الشيخ عبد المعطى المشهور بابن رسلان نفعنا الله ببركاته ، ورحم أسلافه العارفين الصالحين ، وعرض على جميع الرسالة اللطيفة المشتملة على معرفة الفصد وأوقاته وكيفيته وشروطه وما يترتب عليه من المنافع المنسوبة . والرسالة المذكورة للشيخ الإمام العلامة التمام شمس الدين محمد بن ساعد الانصارى(٢) شكر الله سعيه ورحمه وأسكنه بحابيح جناته بمنه وكرمه ، عرضاً جيداً دل على حسن حفظه للرسالة المذكورة ، وقد أجزته أن يرويها عنى بحق روايتها وغيرها من الكتب الطبية (وباقى الأجازة مفقود)

والإجازة الأخرى أيضاً من القرن الحادى عشر الهجرى وهى صادرة من رئيس الجراحين بدار الشفا المنصورى (قلاوون)

وخلاصتها بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم والسلام على آله وصحبه أنه وقف على الرسالة الموسومة (بيرء الآلام فى صناعة الفصد والحجام) نظم لوذعى زمانه وألمعى عصره وأوانه ، الشمس شمس الدين القيم شهرة ، الجراح صنعة ومهرة ، التى أصلها للشيخ الفاضل حاوى الفضائل الشيخ شمس الدين الشربينى الجراح الموسومة (بغاية المقاصد فيما يجب على المفصود والفاصد) وقد قرأها عليه قراءة اتقان وإمعان فلم ير بدا من أن يبسطها ليتيسر حفظ تلك الفوائد . وقد أجاد ناظمها فى تحقيقها ، وبذل الجهد فى تحريرها وتدقيقها ... إلى أن يقول استحق راقم وشيها وناسج بردها أن يتوج بتاج الإجازة فاستخرت الله تعالى وأجزت له أن يتعاطى من صناعة الجراح ، ما أتقن معرفته ليحصل له النجاح والفلاح ، وهو أن يعالج الجراحات التى تبرأ بالبط ، ويقلع من السنان ما ظهر له من غير شرط ، وأن يفصد من الأوردة ويبتر الشرائين ، وإن يقلع من الإسنان الفاسد المسوسين (كذا) إلى أن يقول ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا وإياه لصالح الأعمال فى كل حال ومآل) .

وإمضاء هذه الإجازة كما يأتى : —

(رقمه بقلمه أحقر عباد الفتاح ، الفقير للحق على بن محمد بن محمد ابن على الجراح ، خادم الفقراء الضعفاء بدار الشفا بمصر المحروسة ومصلياً ومسلماً وحمداً ومحوقلا ومستغفراً بتاريخ صفر الخير من شهور سنة إحدى عشرة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، والحمد لله وحده)

وقد كان الصيادلة أيضاً خاضعين للرقابة فى أعمالهم يؤدون امتحاناً خاصاً قبل اشتغالهم بهذه الصناعة حتى يوثق من علمهم بالأدوية والعقاقير ، ويؤمن مغبة غلطهم فى إعطاء الأدوية والعقاقير ...

يذكر ابن أصيبعة فى الجزء الأول من مؤلفه طبقات الأطباء ضمن شرح حال زكريا الطيفورى الطبيب — وكان من مشاهير الأطباء فى زمن الخليفة المعتصم — قصة خلاصتها (أنه بينا كان الأفشين فى معسكره وهو فى محاربة بابك سنة ٢٢١ هجرية وكان معه زكريا الطيفورى الطبيب أمره بإحضار جميع من فى عسكره من التجار وحوانيتهم وصناعة كل رجل منهم ، فرفع ذلك إليه ؛ فلما بلغت القراءة بالقارىء إلى موضع الصيادلة قال الأفشين لزكريا الطيفورى (يا زكريا ضبط هؤلاء الصيادلة عندى أولى مما تقدم فيه ، فامتحنهم حتى نعرف منهم الناصح من غيره) فقال زكريا (إن يوسف لقوة الكيماوى قال يوماً للمأمون (إنما آفة الكيمياء الصيادلة ؛ فإن الصيدلانى لا يطلب الإنسان منه شيئاً من الأشياء كان عنده أم لم يكن إلا أخبره بأنه عنده ، ودفع إليه شيئاً من الأشياء التى عنده ، وقال هذا الذى طلبت . فإن رأى أمير المؤمنين أن يضع اسماً لا يعرف ويوجه جماعة إلى الصيادلة

(١) لب اللباب للسيوطى
(٢) واسم الرسالة نهاية القصد فى صناعة الفصد منها نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية .

فى طلبه لتبتاعه فليفعل) فقال المأمون (قد وضعت الإسم وهو شقطيثا (وهى ضيعة تقرب من مدينة السلام) ووجه المأمون جماعة من الرسل يسألهم عن شقطيثا فكلهم ذكر أنه عنده وأخذ الثمن من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته ، فصاروا إلى المأمون بأشياء مختلفة ، فمنهم من أتى ببعض البذور ، ومنهم من أتى بقطعة من حجر ، ومنهم أتى بوبر . فاستحسن المأمون نصح يوسف لقوة واهتم بأمر الصيادلة ومراقبتهم .

وبعد ذكر هذه الحكاية أشار زكريا الطيفورى على الأفشين أن يمتحن الصيادلة ، فأعجب الأفشين برأى زكريا ودعا بدفتر الأشروسنة فأخرج منها نحواً من عشرين إسما ووجه إلى الصيادلة من يطلب منهم أدوية مسماة بتلك الأسماء ، فبعضهم أنكرها وبعضهم ادعى معرفتها وأخذ الدراهم من الرسل ودفع إليهم شيئاً من حانوته . فأمر الأفشين بإحضار جميع الصيادلة ، فلما حضروا كتب لمن أنكر معرفته تلك الأسماء منشورات أذن لهم فيها بالمقام فى عسكره ونفى الباقين عن العسكر ولم يأذن لواحد منهم فى المقام . ونادى المنادى بنفيهم وبإباحة دم من وجد منهم فى معسكره (١)

وكان من جملة وظائف المحتسب — وكانت يده مطلقة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر — مراقبة الأطباء والكحالين والجراحين والمجبرين .

جاء فى كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة (٢) وينبغى للمحتسب أن يأخذ عليهم عهد أبقراط ويحلفهم أن لا يعطوا أحد دواء مراً ، ولا يركبوا له سما ، ولا يذكروا للنساء الدواء الذى يسقط الأجنة ، ولا للرجال الدواء الذى يقطع النسل ، ولا يفشوا الأسرار ، ولا يهتكوا الأستار ، إلى غير ذلك من الأمور التى يجب على الأطباء مراعاتها فى عملهم .

كما كان للمحتسب أن يمتحن الأطباء بما ذكره حنين فى كتابه المعروف (بمحنة الطبيب) وأما الكحالون فقد كانوا يمتحنون بكتاب العشر المقالات فى العين (٣) لحنين أيضاً ، وكان على المجبرين أن يؤدوا امتحاناً فى المقالة السادسة من كناش بولس الأجانيطى فى الجبر الذى قام بنقله إلى العربية حنين بن أسحق .

وأما الجراحون فكان عليهم أن يكونوا ملمين بكتاب جالينوس الخاص بالجراحات والمراهم وأن يعرفوا التشريح وما يتصل به .

وكان للمحتسب أيضاً مراقبة الصيادلة بمساعدة الأطباء والمتخصصين فى معرفة الأدوية والعقاقير وإرشادهم .

إن وصف شتى البيمارستانات التى كانت منتشرة فى مختلف البلاد الإسلامية وتبيان تاريخ بنائها وأسماء بناتها وطريقة إدارة أوقافها وذكر أسماء كبار أطبائها والطلبة الذين كانوا يتلقون العلم فيها يحتاج لبحث خاص ، وقد وفى الموضوع حقه المرحوم الدكتور أحمد بك عيسى فى مؤلفه القيم (تاريخ البيمارستانات فى الإسلام) وفيه يذكر رحمه الله أسماء ثمانين من هذه البيمارستانات التى كانت تدار فى مصر وإيران والعراق والجزيرة وسورية وجزيرة العرب وبلاد الروم أى آسيا الصغرى واسطنبول وبلاد المغرب والأندلس بتفصيل واف فليرجع إليه من أراد التفصيل فهو خير مرجع فى هذا الباب .

قاسم غنى

(١) الأطباء لابن أبى أصيبعة الجزء الأول صفحة ١٥٧
(٢) نهاية الرتبة فى طلب الحسبة لعبد الرحمن الشعرانى (مخطوط)
(٣) طبع هذا الكتاب لحساب الحكومة المصرية مع تعليق للدكتور مايرهوف المستشرق الرمدى المعروف .

الأدب والفن في أسبوع

الملك الأديب :

كانت زيارة جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك فاروق في الأسبوع الماضي — مظهراً رائعاً من مظاهر الأخوة العربية ، وقد تحدثت الصحف عن الملك عبد الله حديثاً ندياً تضمن كثيراً من شمائله وسجاياه . ومما يجمل أن يذكر هنا عن جلالته ، رعايته للنهضة الأدبية في شرق الأردن ، ومشاركته الفعلية فيها ، فهو أديب ممتاز يطرب للأدب الرفيع ، ويروى الشعر ويقوله ، ويكتب بأسلوب بليغ . ولا يكاد مجلسه يخلو من الأدباء والشعراء ، يطارحهم الشعر ويناقلهم حديث الأدب ، وقد ولى كثيراً من الأدباء أهم المناصب في الحكومة .

وجلالته يعطف على شعراء الشباب الذين عبروا بالشعر في بلاد شرق الأردن الشقيقة إلى مجال المذاهب الحديثة وأوجدوا هناك نهضة أدبية مرموقة .

والجيل الأردني الجديد يتابع الحركة الأدبية في مصر ويقبل على قراءة الصحف المصرية ، ولا سيما المجلات الأدبية .

التعبير الحماسي والأناشيد :

يقول « البسام » في كتاب منه : « قرأت ما كتبته عن أنشودة فلسطين التي غناها عبد الوهاب والتي سميتها أنشودة ناعمة أتريد أن يقوى حنجرته ويعلي صوته كما يصنع البكار ؟ ! »

لا ، أيها البسام . . إن التعبير الحماسي القوى إنما يكون في التأليف ، أو التلحين ، أو الإلقاء … كما يتكلم الرجل الذي يملك أعصابه ويضبط نفسه ، بنبرات هادئة قوية معبرة عن بأسه وسطوته ، وهو غير اللين المائع ، وغير الصاخب الصارخ . وأنا لم أسمع إلى الآن من الإذاعة المصرية نشيداً حماسياً ، على تتبعي وكثرة ما تذيع من الأناشيد ، وعلى رغم الحوافز الحاضرة ، وإنما نسمع منها الناعم والمائع ، أو الصراخ الذي يقلق النائمين ويزعج الآمنين ، وأ كثر ما تقدم من النوع الأخير ، ومثله هذه البرامج الخاصة المأخوذة من التاريخ الإسلامي والتي يراد فيها أن يؤدى الحماس بالجلبة والأصوات المنكرة . . وإن تؤدى هذه الأصوات ولا تلك الأناشيد الصارخة إلا إلى تصديع الرءوس وإقلاق الراحة .

وقد قرأت في بعض الصحف شكايات مؤلفين وملحنين معروفين من الإذاعة المصرية لأنها لا تقبل إنتاجهم ، ومنهم : بيرم التونسي وزكريا أحمد ، إذ ألف الأول نشيداً ، ولحنه الثاني وأخذته إذاعة القدس بعد أن أعرضت عنه الإذاعة المصرية . ونحن نسمع في الإذاعات العربية الأخرى أناشيد قوية لا نسمع مثلها من الإذاعة المصرية ، وكثير من هذه الأناشيد من إنتاج مصريين .

الآفة هي — كما قلت في الأسبوع الماضي — في النطاق المضروب حول الإذاعة من المتصلين بموظفيها ، فأنت تسمع أن النشيد أو البرنامج من تأليف فلان أو إخراج فلان ، ولا يتغير هذا الفلان ولا يجدد شيئاً يحسن به علاقته بالمستمعين !

أهي سودنة أم جلنزة :

من أنباء السودان أن الحاكم العام أعلن الدستور السوداني الذي أراده الإنجليز ، وتنص المادة (٤٥) من هذا الدستور على أن « تكون الإجراءات في الجمعية (التشريعية) باللغة العربية ولكن بدون إخلال بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية متى كان ذلك »

وما دام الإنجليز هناك ، فستكون اللغة العربية مخلة دائماً « بما تدعو إليه حالة استعمال اللغة الإنجليزية » أى أن اللغة التي تستعمل في الجمعية هي اللغة الإنجليزية ، وليس هذا جديداً ، فالإنجليزية هي لغة التعليم في المدارس السودانية فيما عدا تعليم اللغة العربية ، وهي لغة الحكومة السودانية في دواوينها ومكاتباتها وكل أعمالها ، وذلك لأن اللغة العربية تخل بحالة استعمال … الخ

وهم يقولون إنهم يقصدون السودنة من هذه الإجراءات .. والسودان بلاد عربية لغتها العربية فهل من السودنة أن تهمل

لغة السودان القومية . . أو هي (جلنزة) ؟

ولك أن تقيس على ذلك سائر مشروعات السودنة .

من طرف المجالس :

كان موضوع الحديث هو مقال (أدباء معاصرون أرشحهم للخلود) (١) لمعالي الأستاذ إبراهيم دسوق أباظه باشا ، وكان أكثر من بالمجلس من الأدباء الذين لم يذكرهم معاليه مع من رشحهم للخلود ، وكان بعضهم ممن ذكروا ولم يرضهم الترتيب .

وبدأ الحديث بالاحتجاج والتساؤل عن بعض الأسماء التي وردت في المقال ، وذكر أسماء لم ترد فيه وكانت حرية بتقدير الباشا ، ولكن سرعان ما انقلب الحديث إلى مجرى فكاهي سرت فيه روح الدعابة والمرح ، عند ما قال أحدهم :

لا عليكم . . إن هذا « الكدر » لابد أن يليه « تنسيق »

واستمرت المناقشة بعد ذلك على هذا النحو أو على هذه (القافية) فمن قائل إنه من (المنسيين) وقائل إنه أحق من فلان (بالأقدمية) وقال ناشيء إنه وإن كان لا يطمع في التنسيق ، ينتظر دوره في (تنميق التنسيق) وقال من لم يرشحه أن بدكر مؤخراً : إنه وإن كان قد شمله حسن تقدير الباشا إلا أنه يريد تصحيح الوضع حتى لا يتكرر في (الحركة) التالية تقديم من هو أحدث منه عليه ...

واستقر الرأى أخيراً على مطالبة معالى الأستاذ إبراهيم دسوق أباظه باشا بإصدار تنسيق الأدباء ، وإذا لم يصدر هذا التنسيق فإنهم يعرضون القضية على (مجلس الدولة) مع تكليف (العباس) بأن يبلغ معاليه هذا القرار على جناح الرسالة ...

صرخة في واد :

أصدرت لجنة البيان العربى ديوان الأستاذ غنيم « صرخة في واد » وهو الديوان الذى فاز بجائزة الشعر الأول في مسابقة مجمع فؤاد الأول للغة العربية سنة ١٩٤٧

وقد أهدى صاحب الديوان نسخة منه إلى السدة الملكية الكريمة ، فتلقى من معالى رئيس ديوان جلالة الملك خطاباً يبلغه فيه شكر جلالته وتقديره السامى .

(١) العدد (٧٨٠) من الرسالة

وشعر محمود غنيم يمتاز بعذوبة التعبير ووضوح الفكرة . وهو شاعر يحس إحساس الجماعة ، فهو أكثر شعرائنا تناولا المسائل القومية وتصويراً لأحوال المجتمع ؛ وهو يتجه إلى هذا المذهب حتى فيما يصور به حياته الخاصة وما يحيط به ، إذ يربط ذلك بالمسائل الاجتماعية العامة ؛ ويمزج كل ذلك بروح شعرية محببة إلى النفوس .

لذلك لن يكون ديوان غنيم ، كما سماه ، صرخة في واد . .

الأدب والبلاغة في المدارس الثانوية :

في سنة ١٩٤٥ ألفت وزارة المعارف لجنة لبحث وسائل ترقية اللغة العربية في المدارس الإبتدائية والثانوية ، والنظر في البرامج والكتب المؤلفة وتيسير قواعد النحو ، وشكلت اللجنة برياسة الأستاذ أحمد أمين بك وعضوية الأساتذة على الجارم بك وإبراهيم مصطفى وعبد الحميد حسن ومحمد خلف الله ومحمد على مصطفى ، وعقدت اللجنة عقب تشكيلها بعض الجلسات ثم وقفت أعمالها إلى أن أعيد تأليفها في فبراير سنة ١٩٤٧ مع ضم الأستاذين منصور سليمان وزكى المهندس بك ، والدكتورين عبد الوهاب عزام بك وعبد العزيز القوصى — إلى عضويتها . ووالت اللجنة عملها ، ووضعت تقريراً ضمنته خلاصة أبحاثها ومقترحاتها في أغسطس الماضى . وعقد بعد ذلك المؤتمر الثقافى العربى الأول في لبنان ، وكان هذا التقرير أساس مناقشات المؤتمر فيما يتعلق باللغة العربية ، وجاءت قرارات المؤتمر في مجموعها متفقة مع آراء اللجنة .

ورأت الوزارة أن تعرف آراء جمهور المشتغلين بتعليم اللغة العربية في مقترحات اللجنة ، فأرسلت التقرير إلى جميع مفتشى اللغة العربية ومدرسيها الأوائل بالمدارس الثانوية وشعبة من مدرسيها ، ليبدو ملاحظاتهم عليها . وعقد رجال اللغة العربية بالوزارة مؤتمر عاماً لهذا الغرض في فبراير الماضى ، وانتهى المؤتمر إلى تأييد مقترحات اللجنة مع بعض التوصيات والرغبات التى رآها كفيلة بتنفيذ تلك المقترحات على الوجه الأكمل .

وأخيراً قدم الأستاذ اسماعيل القبانى بك المستشار الفنى لوزارة المعارف إلى معالى الوزير مذكرة لخص فيها محتويات التقرير والملاحظات التى أبديت عليه في مؤتمر رجال اللغة العربية ،

كما ضمنها رأيه فى تنفيذ تلك المقترحات ، وقد وصف الأستاذ القبانى بك ذلك التقرير بأنه ينم على جرأة فى الأخذ بوسائل الإصلاح وميل إلى التجديد ولكن من غير طفرة .

وقد كانت اللجنة جريئة حقاً فنفذت إلى صميم مشكلات تعليم اللغة فى المدارس ، وقد خصت الأدب والبلاغة بأكبر قسط من التغيير فأدخلت على مناهجهما تعديلا شاملا يتناول أسسها ، قالت اللجنة فى تقريرها إنها « لاحظت أن دراسة الأدب تبدأ فى المناهج الحالية بدراسة التاريخ دون أن يكون للتلميذ محصول كاف من الأدب ترتكز عليه وأنها قد شغلت مكاناً فسيحاً من مناهج الدراسة ونالت قسطاً كبيراً من جهود المعلمين والتلاميذ حتى طغت على دراسة الأدب فأصبحت الفائدة منه قليلة . والطريقة الطبيعية فى الدراسة الأدبية أن تبدأ بدراسة الأدب نفسه وتجعل له الحظ الأوفر من الجهد والاهتمام » وعلى هذا الأساس وضعت اللجنة منهج الأدب فى سنوات التعليم الثانوى بحيث يكون النص محوراً للدراسة ، ويعتبر التاريخ على هامش الأدب .

واستعرضت اللجنة تطور النقد العربى وصلة النقد بالبلاغة ، ووصلت إلى أن تدريس البلاغة بشكلها المألوف لا يحقق الهدف المقصود من هذا اللون من الدراسة وهو تربية الذوق الفنى عند التلاميذ . وإعانتهم على حسن فهم الجمال الأدبى وتذوقه وإنارة الطريق أمامهم فى نواحى الخلق والإبداع الأدبى . لهذا رأت اللجنة أن تعود بالنقد إلى وظيفته الأولى وأن تجعله جزءاً عملياً أصيلا من دراسة النص ، ورسمت له منهجاً مدرجاً مرتبطاً من ناحية بمنهج النصوص ومناسباً من جهة اخرى للتطور الذهنى عند التلاميذ ، وجعلت اللجنة فى السنتين الرابعة والخامسة مكانا لبعض النواحى النظرية الأصيلة فى النقد كدراسة الكلمة والجملة وأثر كل منهما فى أداة المعنى ، وكدراسة طرق التصوير المختلفة وبيان ما فيها من جمال دون كثير تعرض للتفصيلات ، وكدراسة الفنون الأدبية النثرية والشعرية وشروط جودتها وعرض نماذج منها .

وواضح من ذلك أن اللجنة أزالت هذه « البلاغة » التى تسخر فيها بالمنهج الحالى عقول التلاميذ ، ووضعت مكانها « النقد الأدبى » بشكل مبسط مفيد ، مما دعا بعض المتمسكين بتلك « الرياضات الذهنية » المقيمة إلى معارضة ما جاء فى المنهج متعلقاً بذلك ، وقد وافق مؤتمر رجال اللغة العربية على ما جاء فى المنهج مع التوصية بأن تكون دراسة البديع عملية فى خلال دراسة النصوص الأدبية .

معرض الفنون الجميلة :

أقام اتحاد خريجى الفنون الجميلة العليا ، معرضه الأول بمتحف الفن الحديث بشارع قصر النيل . وقد افتتحه فى هذا الإسبوع سعادة إلهامى حسين باشا .

ويضم هذا المعرض مجموعة مختلفة من أعمال خريجى مدرسة الفنون الجميلة العليا فى التصوير والنحت ، ويتجه أصحابها فى إنتاجهم اتجاهات مختلفة بحسب الشخصية الفنية لكل منهم ، ولكنهم جميعاً يسيرون على مقتضى الأصول والثقافة الفنية التى تلقوها بمعهدهم . وهم يمثلون الجهة المحافظة بالنسبة لجماعة الفن المعاصر الذين يقتفون مذهب « السريالزم » . وقد زرت معرض الفن المعاصر ثم زرت هذا المعرض ، فوجدت الاختلاف بينهما يبدو على الأقل فى وضوح الفكرة وظهور الجمال الفنى فى المعرض الثانى معرض الفنون الجميلة . ومما يذكر فى إنصاف هؤلاء أنهم يبعدون عن « الفوتغرافية » ونقل الطبيعة كما هى ، بل هم يتجهون فى أكثر أعمالهم إلى رسم الخطوط المؤدية إلى الفكرة بصرف النظر عن الواقعية البحتة . وقد وقفت أمام كثير من تماثيلهم ولوحاتهم مأخوذاً بقوة الأداء فيها ، كالبنت المسكينة الشردة التى نحتها جمال السجينى ، وليالى الكرنك لعبد السلام الشريف ، والعامل الكادح الذى صوره محمد عبد الرحمن ، ووادى الملوك لصلاح الدين طاهر ، وعجوز لصبرى عبد الغنى ، وزنوبة لعباس شهدى ، وصورة الدكتور محمد ولى بك لعبد العزيز درويش . أما تمثال الأستاذ اسماعيل الأزهرى فهو محتاج إلى أن يقال لمن يعرف الأستاذ الأزهرى إن هذا التمثال صنع له . .

ومما لاحظته أيضاً فى هذا المعرض وجود بضع صور تشبه صور جماعة الفن المعاصر فى التحرر والغموض .

العباس



الهدنة ووقف القتال :

الهدنة حلف سياسي وعسكري يعقده مندوبون سياسيون ، ولا يبرم إلا بموافقة الحكومات عليه ، مالم يكن المندوبون مفوضين في ذلك . والغرض من الهدنة التمهيد لعقد الصلح .

والهدنة نوعان : عامة وخاصة فالعامة توقف القتال في كل الجهات ، والخاصة توقفه في بعض الجهات .

وهي سواء أكانت عامة أم خاصة لا مندوحة عن تحديد وقت لها تنتهي بانتهائه . وقد تبرم الهدنة الخاصة لساعات موقوتة . ويجب العناية التامة في تحديد الأيام والساعات تحديداً لا يحتمل التأويل ، ذلك لأن الحرب تستأنف بلا إنذار عند مضي الزمن الموقوت .

وعلى الحكومات أن تخبر قوادها بالهدنة فوراً خشاة أن يقع خطأ منهم لا يمكن استدراكه .

وإذا وقعت معركة بعد عقد الهدنة وقبل أن يصل خبرها إلى القواد ردت الأسرى وأعيدت الغنائم ، على ما في المادة ٣٦ من معاهدة لاهاي .

وتوجب الهدنة عادة وقف الهجوم ومنع إطلاق النار وإرسال الجنود ، إذا لم يكن في صك الهدنة مايخالف ذلك . ولا يمكن حصر الأعمال الممنوعة في غضون الهدنة لأن النظريات والعمليات متضاربة في هذا الشأن . فبعض رجال القانون يوجبون الامتناع عن كل عمل فيه منفعة للعدو ، وعلى ذلك فلا يجيزون ترميم الحصون المحاصرة أو زيادة المدافعين عنها ولا نقل الجيوش من مكان إلى أحسن منه . وبعضهم لا يرون تحريم هذه الأعمال ، بل يسمحون بنقل الجيوش وحشدها وإنشاء الخنادق ونحوها والتهيؤ لهجوم مقبل وغير ذلك من الاستعدادات ، على أن يكون ذلك وراء خطوط الحرب .

ونظريتهم هذه هي المتبعة في الحروب .

فعلى الدول التي تريد تحريم عمل من الأعمال الحربية في غضون الهدنة أن تنص عليه في صك الهدنة .

ويجب أن يعنى بأمر تنظيم العلاقة بين الجيوش والأهلين أثناء الهدنة . والعادة أن تعين بقعة منعزلة (حيادية) بين الجيشين منعاً للهجوم ، وأن تكون المسافة بين المخافر الأمامية بعيدة ، وأن يمنع المرور فيها .

وأما الميرة والذخيرة فلا يسوغ إرسالها إلى الحصون المحاصرة عند رجال القانون الذين يوجبون المحافظة على الحالة الحاضرة ، لكن حرمان الجيوش المحاصرة من الميرة يجعل الهدنة بلاء عليهم ، وقد قيل أن هدنة واحدة تكفي لتسليم أعظم القلاع . فالإنصاف والعدل يوجبان أن يرسل المحاصر إلى الجيش المحاصر ما يحتاج إليه من القوت أثناء الهدنة ، لتكون حاله عند انتهاء الهدنة كما كانت عند إبرامها ، فألمانيا سمحت بإرسال الميرة إلى حصون بوهميا سنة ١٨٦٦ ولكنهم لم يبيحوا إرسالها إلى باريس سنة ١٨٧٠ .

وإذا نقض أحد الفريقين الهدنة حق للفريق الآخر أن ينقضها ، على رأي بعض رجال القانون . ويرى غيرهم ، أن على الفريق الآخر أن يدفع العدوان ثم يخبر عدوه بفسخ الهدنة ويستأنف الهجوم عليه إذا لم يكن هناك داع للاسراع . ونقض الهدنة خيانة ، على ما في الشرع الدولي كما في المادة ٤٠ من معاهدة لاهاي ؛ أما إذا أخل بضعة جنود بأحكامها فأنها لا تفسخ بل يعاقب المخالفون ، على ما في المادة ٤١ من المعاهدة المذكورة .

وهناك ما يسمى (وقف القتال) وهو حلف يعقد لمدة قصيرة بين قواد الجيوش والفيالق بواسطة رسل الحرب ، وينحصر في مواضع محدودة ، وذلك لدفن القتلى ورفع الجرحى من ساحات القتال ، ونحو ذلك .

صهيون كبرذون :

ينطق (صهيون) بعض كبار الأدباء في المذياع وغيره بفتح الصاد وضم الياء . وفي القاموس المحيط : صهيون كبرذون .

في استجباء الخراج :

من وصايا أهل الحكمة للملوك : المال قوة السلطان وعمارة المملكة ، ولقاحة الأمن ونتاجة العدل ، وهو حصن السلطان ومادة الملك . والمال أقوى العدد على العدو ، ومن حقه أن يؤخذ من حقه ويوضع في حقه . ولا يؤخذ من الرعية إلا ما فضل عن

معاشها ومصالحها ، ثم ينفق ذلك في الوجوه التي يعود عليها نفعها .
أيها الملك ! مر جباة الأموال بالرفق ومجانبة الخرق ، ومن جاوزق الحلب حلب الدم ، ومثل السلطان إذا حمل على أهل الخراج حتى ضعفوا عن عمارة الأرضين مثل من يقطع لحمه ويأكله ، فهو وإن قوى من ناحية فقد ضعف من ناحية ، وما أدخل على نفسه من الوجع والضعف أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع .

وما زال أهل الإسلام ظاهرين على عدوهم في الأندلس وأمر العدو في ضعف وانتقاص لما كانت الأرض مقطعة في أيدي الأجناد فكانوا يستغلونها ويرفقون بالفلاحين ويربونهم كما يربي التاجر تجارته ، وكانت الأرض عامرة والأموال وافرة والأجناد متوافرين والكراع والسلاح فوق ما يحتاج إليه ، إلى أن كان الأمر في آخر أيام ابن أبي عامر ، فرد عطايا الجند مشاهرة بقبض الأموال على النطع ، وقدم على الأرض جباة يجبونها فأكلوا الرعايا واجتاحوا أموالهم واستضعفوهم ، فتهاربت الرعايا وضعفوا عن العمارة فقلت الجبايات المرتفعة إلى السلطان ، وضعفت الأجناد وقوى العدو على بلاد المسلمين حتى أخذ الكثير منها . ولم يزل أمر المسلمين في نقص وأمر العدو في ظهور إلى أن دخلها الملثمون فردوا الاقطاعات كما كانت في الزمان القديم .

من شؤون الحرب في الإسلام :

دارت حرب في الأندلس بين المسلمين والكفار ، ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة من بيضة الحديد قدر ثلثها بما حوته من الرأس ، فحملتها الروم وعلقتها في كنيسة لهم ، فكانوا إذا عيروا بانهزامهم يقولون : لقينا أقواماً هذا ضربهم ، وكان أبطال الروم يرحلون إليها ليروها .

قال تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وهذا مشتمل على كل ما في مقدور البشر من العدة والآلة والحيلة ، وأول ذلك أن يقدم بين يدي اللقاء عملاً صالحاً من صدقة ورد مظلمة وصلة رحم ودعاء مخلص وأمر بمعروف وتغيير منكر وأمثال ذلك ، وكان عمر رضوان الله عليه يأمر بذلك ويقول : إنما تقاتلون بأعمالكم .
وروى أن بريداً ورد عليه بفتح للمسلمين فقال له عمر : أي وقت لقيتم العدو ؟ قال غدوة ، قال ومتى انهزم ؟ قال عند الزوال . فقال عمر إنا لله وإنا إليه راجعون ! وقام الشرك للايمان من غدوة إلى الزوال !! لقد أحدثتم بعدى حدثاً أو أحدثت بعدكم حدثاً .

والشأن في استجادة القواد وانتخاب الأمراء وأصحاب الولاية ، فلا ينبغي أن يقدم على الجيش إلا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجرأة ، ثبت الجنان صارم القلب جريئه ، رابط الجأش صادق البأس ممن قد توسط الحروب ، ومارس الرجال وما رسوه ونازل الأقران وقارع الأبطال عارفاً بمواضع الفرص خبيراً بمواقع القلب والميمنة والميسرة من الحروب ، وما الذي يجب شحنه بالحماة والأبطال من ذلك ، بصيراً بصنوف العدو ومواقع الفرة منه ومواقع الشدة ، فإنه إذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كان جميعهم كأنهم مثله .

وليخف قائد الجيش العلامة التي هو مشهور بها ، فإن عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ، ولا يلزم خيمته ليلا ونهاراً ، وليبدل زيه ويغير خيمته ويعمى مكانه كي لا يلتمس عدوه غرته .
وإذا سكنت الحرب فلا يمشي في النفر اليسير من قومه خارج عسكره ، فإن عيون عدوه قد انكبت عليه ، وعلى هذا الوجه كسر المسلمون جيوش أفريقية عند فتحها .

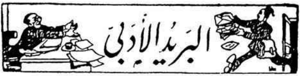
وقالوا : جسم الحرب الشجاعة ، وقلبها التدبير ، وعينها الحذر ، وجناحها الطاعة ، ولسانها المكيدة ، وقائدها الرفق ، وسائقها النصر .

وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون . وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا إن الله مع الصابرين) وهذه جماع آداب الحرب .

وقد أوضح الله لنا في كتابه العزيز علة النصر وعلة الهزيمة والفرار ، فقال تعالى (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) يعني إن تنصروا رسوله ودينه . وأما الهزيمة فعلتها المعاصي ، قال تعالى (إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا) أي بشؤم ذنوبهم .

واستوصى قوم أكثم بن صيفي في حرب أرادوها فقال : أقلوا الخلاف على أمرائكم ، واعلموا أن كثرة الصياح فشل ، ولا جماعة لمن اختلف . وتثبتوا فإن أحزم الفريقين الركين .

أسامة



خليفة مسيلمة :

نشرت (الرسالة بعددها رقم ٧٨١) كلمة منسوبة لى بعنوان « خليفة المتنبى » نضح فيها من ضعة نفسه ولؤم طبعه وحشاها بالأقذاع والفحش ومحاولة الدس والوقيعة والتطاول على ذى مقام كريم تخفق القلوب بمحبته وإجلاله ، ويعرف له الأزهر وأبناؤه ماضياً مجيداً وحاضراً كريماً ودينا متيناً وخلقاً قويماً وميلاً عن الهوى وحباً للخير واعتصاماً بالله وبالحق ، وحسبه أنه قد اعتز بالله وحده ، فأعزه وأيده وأرضاه ، فرضى عنه ورعاه وسدد خطاه ، وأصلح به ما فسد ، وأقام به ما اعوج ، وجمع به ما تفرق

وعزيز علينا أن تسمح (الرسالة) — وهى مجلة الأدب الرفيع — بنشر هذا الأسلوب الرخيص ؛ ويغلب على ظنى أن الأستاذ الزيات — وهو من هو — لم يطلع على أصل هذه الكلمة ، ولو اطلع عليها لما أجاز نشرها ...

محمد سرحان

المدرس بكلية اللغة العربية

و (الرسالة) تسأل الأستاذ : ماذا كان يصنع لو كان فى مكان المحرر ؟ كلمة فى نقد خلق من الأخلاق جاءتنا باسم عالم من علماء الدين ، عمد فيها إلى التلويح لا إلى التصريح ، وقصد منها إلى التهذيب لا إلى التجريح ، فكيف يخطر ببالنا أن الكلام فيها على خلاف مقتضى الظاهر ، وأن فى ورثة محمد من يفترى الكذب ويفتعل الشعر وينتحل الأسماء ويقصد السوء ؟ وإذا كنا لا نطلب من أى كاتب أن يصدق على إمضائه شيخ الحارة ومأمور القسم ، فكيف نرتكب مع حراس الدين ونماذج الخلق هذا الإثم ؟.

رأى شاذ :

سمعنا من الإذاعة المصرية فى يوم ماض حديثاً فى (شرع الله) لمدرس بحاث ، نقل فيه رأياً شاذاً للنجم الطوفى يقدم فيه المصلحة على النص والاجماع ، فرأيت من الواجب الحتم أن أنشر كلمة مما قاله المترجمون لهذا الشيخ المتهم :

قال ابن العماد الحنبلى فى (شذرات الذهب فى أخبار من ذهب) ج ٦ ص ٣٩ : نجم الدين سليمان الطوفى الحنبلى ... وكان شيعياً منحرفاً فى الاعتقاد عن السنة ... ووجد له فى الرفض قصائد ، ويلوح به في كثير من تصانيفه ... واشتهر عنه الرفض والوقوع فى أبى بكر وابنته عائشة رضوان الله عليهما ، وفى غيرهما من جلة الصحابة رضوان الله عليهم ، وظهر له فى هذا المعنى أشعار بخطه نقلها عنه بعض من كان يصحبه ويظهر موافقة له فرفع ذلك إلى قاضى الحنابلة سعد الدين الحارثى وقامت عليه بذلك البينة فتقدم إلى بعض نوابه بضربه وتعزيره وإشهاره ، وطيف به ونودى عليه بذلك ، وصرف عن جميع ما كان بيده من المدارس ، وحبس أياماً ثم أطلق .

وقال ابن رجب الحنبلى كذلك فى طبقات الحنابلة : لم يكن له يد فى الحديث ، وفى كلامه فيه تخبيط كثير ... ولقد كذب هذا الرجل وفجر فيما رمى به عمر — من منعه الناس من تدوين الحديث — ... ولما جاور فى آخر عمره بالمدينة صحب السكاكينى شيخ الرافضة ونظم ما يتضمن السب لأبى بكر . ذكر ذلك عنه المطرى حافظ المدينة ومؤرخها . وفى الدرر الكامنة للحافظ بن حجر قريب من ذلك . وإنما نقلت ما قاله فيه الحنابلة لأن أصحابه أعرف به

محمد أسامة عليبه

إلى الأستاذ العباسى :

حياك الله يا عباس وجعل أيامك كلها باسمة ... فقد بلغت ما فى النفس وشفيتها مما كان يعتلج فيها ، وأبنت عما كانت تكنه من ألم لم تستطع أن تبدى به كلما مر بالسمع ما يطرب به ويردده الموسيقار محمد عبد الوهاب من شعر المرحوم شوقى بك فى الثورة السورية حين صب الفرنسيون حمم مدافعهم على مدينة (دمشق) الخالدة ، فانظر إلى ما فى قول الشاعر :

إذا عصف الحديد احمر أفق ... على جنباته واسود أفق

من وصف حق ولفظ جزل وتصوير بدع يبعث فى النفس الرهبة والروعة حين تستشعر حقيقة الواقع ، وما يفعله عصف هذا الحديد الذى يحمر منه أفق ويسود آخر ، ثم انظر ما ذا تحس وأنت تستمع إلى الموسيقار حين يتخلع ويتفكك بهامة الألفاظ ذاتها ، فيجعل من عصف الحديد ما يشبه عصف الحب أو الريحان ؟

فحياك الله يا عباس على ما دعوت إليه عبد الوهاب ، وحياه الله وبياه إن هو استجاب .

(دمشق) أحمد أبو الطيب

لاظ أوغلى أيضاً :

قال الأستاذ محمد أسامة عليبة فى كلمة وجيزة أراد بها زيادة

التعريف بلاظ أوغلى — الرسالة عدد ٧٨٠ — … واللاظ قوم من القوقازيين يسكنون على ساحل البحر الأسود ، وهم قبيلة من الجركس .

والواقع أن اللاظ ، أو اللاز — كما ينطقها الأتراك — جيل من الناس يقيم على الساحل الجنوبى الشرقى للبحر الأسود ، فى حين أن الجركس يقيمون على الساحل الشرقى الشمالى لذلك البحر ، ويفصل بين هؤلاء وبين أولئك مساكن الأرمن والكرج ، وليس اللاظ من الجركس فى قليل أو كثير ، بل هما شعبان مختلفان .

يقول العلماء : إن اللاظ من الشعوب القوقازية ، نزحت من القوقاز إلى هذه البقعة من الأناضول من قديم ، ولهم لغتهم الخاصة بهم إلى جانب اللغة التركية ، ولهم صفات ومميزات تكون قوميتهم .

والثابت علمياً أن اللاظ يمتون بصلة القربى إلى أمة الكرج القوقازية ، لا الجركس كما يقول الأستاذ محمد أسامة عليبة .

على أن بعض الشادين من الكتاب يعتقد أن كل قوقازى جركسى ، وأن كلمة الجركس تساوى كلمة القوقازى ، كما أن هناك من تدفعه العصبية إلى مثل هذه الدعوى الواضحة البطلان .

وأنا أعيذ الأستاذ محمد أسامة عليبة أن يكون من هؤلاء أو أولئك ، فاللاظ شعب قوقازى ، ولكنه ليس من الجركس ، بل هو يمت بصلة القرابة إلى أمة الكرج القوقازية .

ولست أظن أن بأحد من القراء حاجة إلى بيان أن الكرج غير الجركس وإن كانا شعبين قوقازيين .

(حلوان) برهان الدين الداغستانى

أهو تجديد فى الشعر ؟

فى جريدة (الزمان) المسائية العدد ١٨٥ اطلعت على قصيدة بعنوان « المصريون » للأستاذ الشاعر محمد الأسمر محرر ركن الأدب بها ، استوقفنى منها بيتان وقفت حيالهما موقف السائل المستريب … قال فى سياق القصيد :

(جيوش تراها كالظلام إذاجا) وما هى إلا فى الحقيقة نور

ثم قال بعد أبيات :

(جيوش تراها كالظلام إذاجا) رأيت عليها الموت وهو منير

أقول — أنا السائل المستريب — ما الحكمة الغالية من تكرار شطر برمته ، وترديد لحن بنغمته ، فى قصيدة لا تزيد أبياتها على العشرة ؟!

أهو قوة البيت فى معناه ، أم هو جماله فى مبناه ، أم هو شىء جديد يراد منه التجديد فى بناء القصيد ؟!

(الزيتون) عدناك



جناية وصـــية !

عن الإنجليزية

— ١ —

فى بقعة من بقاع الريف الجميل ، جلس المفتش البوليسى (باول) فى مجلس من الأصدقاء ، بين أشجار الحديقة الباسقة وأزهارها الباسمة ذات الشذا المسكى . . وقد عبث بها النسيم الرطب . . فبعثت الطبيعة الجذابة فى الجالسين حب الحديث ؛ فاقترح أحد الجالسين على المفتش أن يمتعهم بسرد أغرب قضية حققها فى حياته . . فتظاهر المفتش بالكلال ، إلا أن زوجته همست بصوت رقيق النبرات لتبعث فى زوجها الشجاعة والإقدام على سرد القصة فقالت له :

— لماذا لا تقص عليهم قضية « سيفرن » ؟؟ . إنها فى الواقع قضية غريبة فى بابها . .

فنزل المفتش على حكم زوجته . . فاعتدل فى مجلسه وأشعل غليونه . . وأرسل أفكاره فى جو القصة وشرع أخيراً يقول :

— تبدأ هذه القصة على وجه التحديد فى غرفة شبه معتمة ، بها عجوز شمطاء مسجاة فوق سريرها . . جاوزت التسعين من عمرها . . وقد تغلغل المرض الفتاك فى جسمها المزيل ، فكانت تنتزع أنفاسها بمجهود كبير . . ولم يكن بجانبها غير رجلين كانا يتطلعان إلى العجوز فى لهفة وترقب . . كانت العجوز تحتضر فى تلك الليلة ، إلا أنها كانت تصارع الموت فى يأس وعناد . . ولم يكن حبها للحياة هو الدافع إلى مقاومة الموت بهذا الإصرار . . وإنما دفعها إلى ذلك حبها المال ومعزته لها . . فقد كانت أشد ما تخشاه أن تفارق ذلك الصنم الذى آثرت عبادته على عبادة الله . . فقد كانت فى العام المنصرم تتمتع بصحة موفورة . . فما بال الموت يدهمها فى النهاية ورغمها على ملازمة الفراش ، وانتظار الموت .. وفقدان المال .. وتركه فى أياد تعبث به وتفنيه فى أيام وقد جمعته فى سنين ! ! على أن الطبيب كان يتوقع موتها بين لحظة وأخرى — ولكن حبها للحياة — أو حبها المال — بعبارة أخرى ، ظل يدفع عنها الموت إلى أن حانت الساعة وأقبل ملاك الموت يتحدى الحياة . .

وأما الرجلان فما كانا يرقبان إلا موتها ليضعا يديهما على ثروتها الضخمة . . فقد طال عليهما انتظار موتها حتى امتد إلى ثلاثين عاماً . . ذاقا خلالها ألواناً من العذاب ، وضروباً من الإهانات التى كانت تمطرهما بها عمتهما القاسية الشحيحة . . حتى تبدد أملهما وظنا أن موتهما سوف يسبق موتها ! .

وبينما هما يدمنان النظر إليها وهى تتابع أنفاسها المتلاحقة .. إذ بجسمها يختلج ، وصدرها ينتفض . . فابتسم أحد الرجلين وهمس فى أذن أخيه :

— أكبر ظنى أنها فى النزع الأخير يا « موريس » فيرد عليه موريس شقيقه الأصغر :

— نعم ، يا « شارلس » — لم يبق غير دقائق معدودات . فعلى ما يبدو لى أن ما نسمعه من أنين هو حشرجة الموت ! . وفى هذه اللحظة ، فاضت روح العجوز ، فتنفس الشقيقان الصعداء . وغمر الفرح صدريهما ، حتى كادا يبديان سرورها بالتهانى لولا أن اعتراهما الخجل .. حينما أعلن الطبيب موتها بشىء من الألم .

— ٢ —

وما كادت جثة العجوز توارى التراب فى صباح اليوم التالى ، حتى أسرع الأخوان إلى مكتب محامى عمتهما للاطلاع على وصيتها .. وقد أدهشهما أن استقبلهما ابن المحامى مبدياً اعتذاره عن والده إذ قال :

— إن أبى مريض منذ شهور .. أظنكما أبناء أخى السيدة « سيفرن » — لقد كنت أتوقع قدومكما وسآتيكما بالوصية بعد لحظات . .

ابتسم الرجلان ، وجلسا ينتظران عودة ابن المحامى .. وكانت الدقيقة كأنها ساعة .. حتى عاد ابن المحامى يحمل غلافاً مختوماً ، فقال وهو يفض أختامه :

— هل تريدان أن أقرأ لكما الوصية أو أعطيكما إياها لقراءتها ودراستها ؟؟ .. فأشارا بقراءتها :

فقال إذاً فسأصرف النظر عن القسم الخاص بمكافآت الخدم ..

وأقرأ الشطر الخاص بكما فأمن « موريس » « وتشارلس » على رأيه .. فاستطرد ابن المحامي يقول :

— أقول لكما إن شروط الوصية فيما يختص بكما من الغرابة بمكان ؛ ولهذا أرى أن تقرآها بأنفسكما .. ودفع لهما الوصية . . فأخذها « تشارلس » وأخذ يقرأ ما يلي :

« وأما ابنا أخوى اللذان انتظرا موتى بصبر وجلد ، فإن حديثى إليهما قصير . . يقولون إن الصبر فضيلة . . ولابد له من حسن الجزاء ، ومع أن ابنى أخى سيحصلان على جزائهما الحق فى جهنم ، فيجب أن يحصلا على جزائهما فى الأرض قبل السماء ...

لقد فكرت فى أن ادعهما يتقاسمان ثروتى .. ولكن لم ألبث أن خطرت ببالى فكرة أفضل كثيراً من ذلك ... لقد انتظرا طويلا ... وصبرا كثيراً ، أفلا يكون « من بواعث رضاى فى مثواى أن أرى أيهما أعظم صبراً وأكثر جلداً ؟ . .

لهذا فكرت فى أن أوصى بجميع ثروتى وعقارى لابن أخى الذى يستطيع أن يعمر فى الحياة أكثر من أخيه ... فإذا مات أحدهما تؤول جميع ثروتى لمن بقى منهما على قيد الحياة ... وفى أثناء حياة الإثنين أحرم عليهما الحصول على قرش واحد من ثروتى !! .. »

شهق الأخوان طويلا ... واحمر لونهما ... وراح كل منهما يتطلع إلى الآخر فى ذهول عظيم ...

كانت الوصية بشروطها تحوى إيحاء وتحريضاً على أن يحاول كل من الأخوين قتل الآخر حتى يفوز بالثروة ... لقد أرادت عمتهما الشيطانة أن تحطمهما بضربة واحدة ... فافترق الأخوان ... وعاش كل منهما على بعد من أخيه ! .

— ٣ —

وتحولت حياتهما منذ ذلك اليوم إلى جحيم دائم ، وقلق مستمر . . تسرب الشك إلى كل منهما فى الآخر . . وكان الشيطان اللعين يوسوس لكل منهما أن يفتك بالآخر ليظفر بالثروة . وهزل جسماهما من فرط السهر وأصبحا كشبحين لهما هيكل محطم لا حياة فيه ولا حراك !.

واتفق أن عثر « تشارلس » على موسوعة « بريطانيا » الطبية . . فكان يسهر لياليه ساهدا لا يغمض له جفن .. وهو نمسك بيده ذلك الكتاب يقتله قراءة ودراسة . . وقعت عينه فى الموسوعة على فصل من (الأعشاب السامة) وأسكنه نموها فى انجلترا .. لخطرت « لتشارلس » فكرة شيطانية .. فراح من ساعته يجد فى الحصول على بعض الأعشاب السامة ، فطحنها ، ودس المسحوق الناتج منها فى طعام أخيه «موريس» بخطة جهنمية — حتى تمت بالنجاح .

لحدد يوماً لارتكاب الجريمة . . وبعد الانتهاء من خطته ، سافر إلى بلدة مجاورة . . فتناول « موريس » طعامه الممزوج بالسم .. ولما عاد « تشارلس » من لندن فى صباح اليوم التالى . . وجد أخاه فى أشد حالات المرض .. فاستشعر شيئاً من الندم . . إلا أن رنين المال أطفأ تلك النار المتأججة .. ولطالما بذل طبيب الأسرة مجهوداً جباراً لشفاء « موريس » إلا أن جهوده ذهبت أدراج الرياح .. فذهب ضحية لشروط الوصية ! . .

على أن « تشارلس » لم يجد صعوبة كبيرة فى إقناع الطبيب بأن الوفاة كانت طبيعية .. ولزم بعد ذلك الصمت بعض أيام ... فلم يطالب بالإرث مباشرة خشية أن يثير ذلك الريب ، ويحرك الظنون .. وفى ذلك الظرف الذى كان « تشارلس » مقسم الفكر بين وخز الضمير وجاذبية المال أخذ الناس يتكلمون ويتهامسون . وسرى بينهم الشك والارتياب فى أمر « تشارلس » ، وانتشرت الإشاعات فى كل الأمكنة بأن وفاة « موريس » لم تكن طبيعية . وأنه مات مقتولا بسبب شروط الوصية .. ولم يمض وقت طويل حتى تلقى البوليس رسائل من مجهولين فيها ، اتهام صريح « لتشارلس » ، وأصدر قاضى المقاطعة أمراً باستخراج الجثة وتشريحها . وسرعان ما اكتشف آثار السم فى أمعاء الميت ..

وما كدت أواجه تشارلس بالاتهام حتى خارت قواه ، واعترف بما جنت يداه . . وقدمته المحاكمة . . فكان مصيره الإعدام . . وكم تزداد قلبى حرقة ونفسى ألماً حينما أتذكر ساعة قيادته إلى الإعدام . . فقد استحال فى تلك اللحظة إلى شبح مخيف . .

— ٤ —

كف المفتش « باول » عن سرد القصة . . فنظر أحد الجالسين إليه بحزن وقال :

— إنها قصة غريبة ومحزنة فى وقت واحد ! ! .

فنظر إليه المفتش باسماً متألماً .. وقال :

— فى الواقع أن الباعث الأكبر على غرابة القصة لم يذكر بعد .. فاستطرد يقول :

ومضت شهور . . ونسى الناس كل شيء عن هذه القضية . . إلى أن جاء يوم تلقيت فيه رسالة من رجل كان يعانى سكرات الموت فى إحدى المستشفيات .. قال الكاتب فى رسالته :

« أريد مقابلتك حتماً ، فإن لدى معلومات خطيرة عن قضية « سيفرن » . . . فاسبق بالمجيء أجلى . . . فقد يقول الأطباء .. إن ساعاتى محدودة ..

وكان الخط من السقم بحيث لا يقرأ مما أكد لى أن حالة كاتبه جد خطيرة . . فنظرت عجلان إلى التوقيع فإذا بى أقرأ « ستيفن دربك » وهو اسم لم يطرق سمعي قبل اليوم .. فركبت سيارتى . . . ومضيت إلى المستشفى ، ولما استعلمت من كاتب المستشفى عن « دربك » قال لى إنه نُقل إلى المستشفى فى صباح ذلك اليوم مصاباً بجروح قاتلة على أثر تصادم شديد بين سيارة كان يركبها ، وسيارة نقل كبيرة ، وأن حالته تدعو إلى اليأس!

ودخلت عليه فى الحجرة . . فإذا بى أرى شاباً ممدوداً فوق الفراش .. يئن أنات الألم .. ويتلوى كالأفعى من آلام الجروح. فلما رآنى سكن ورسم على شفتيه ابتسامة الهزيل اليائس ، فابتدرنى بقوله :

آه ! إذاً فقد جئت أخيراً أيها المفتش باول . يبدو أن الدهش يتملكك لأنى أعرف اسمك ، وأشار إلى بالجلوس ..لقد كان شاباً جميل الوجه ، مشرق الجبين ، إلا أنه كان بادى الإعياء من فرط ما ناله من آلام وما نزف من دمه . فاستطرد يقول لى :

« أنا « دربك » محامى قضية « سيفرن » .. إن بينى وبين الموت دقائق . . ولكنى أشعر برغبة ملحة فى إشراك شخص آخر فى سرى قبل أن أنطلق للاجتماع بمميلى فى السماء ؛ وقد هدانى تفكيرى إلى اختيارك لأبثك سرى ، وأوضح لك أمرى ، ولا سيما وأنت الرجل الذى قدم « تشارلس » إلى يد العدالة . .

وأطال الشاب النظر إلى وجهى . . . ثم ابتسم بسخرية واستطرد :

— « يخيل إلى أنك بدأت تفطن إلى ما أنا بسبيل قوله .. نعم ، أنا هو الرجل الذى كان ينبغى أن يوضع فى حبل المشنقة بدلا من « تشارلس » المسكين ، ولكنى لا أعنى بذلك أننى الذى دسست السم لأخيه .. كلا ؛ إن « تشارلس » هو الذى فعل هذا ، ولكنى أنا الذى دفعته إلى ذلك ، فقد كانت الوصية التى قرأتها على الرجلين مزيفة .. كان المحامى المحتضر يتكلم بلهجة الساخر المتحدى ، لا بلهجة النادم الباكى .. ولا عجب فقد كان يعلم أنه أصبح فى مأمن من يد العدالة ..

وواصل حديثه بقوله :

« أجل . لقد كانت الوصية مزيفة ، فقد كتبتها بعد طول تفكير . . كتبتها على أمل أن تجنى ، وفعلا جنت على نفسين لاذنب لهما..لقد جعلت فى محتوياتها شرطاً يكفى لحض « موريس » و « تشارلس » على أن يجنى أحدهما على الآخر فيقتله . . وهذا هو متمناى أن يقتل أحدهما الآخر . . أما لماذا كنت أسعى إلى ذلك ، فالأمر جلى بسيط . . ذلك أننى كنت قد بعثرت إرثهما فى المضاربات المالية ، وما يماثلها من ضروب المراهنة . ولم يكن ثم خطر يتهددنى عندما كانت العجوز « سيفرن » على قيد الحياة .. إلا أن الموقف تغير بعد موتها وأصبح خطير الجانب ، مرهوب الظهر !. فقد كان من المحقق مطالبة الأخوين بإرثهما..

وعندئذ تتجلى الحقيقة ، وتسوء العقبى ..

ثم توقف « المحامى » قليلا .. وتنفس طويلا .. ثم أردف :

— إنك بالطبع تعرف بقية القصة .. فعندما ماتت (سيفرن) اضطررت إلى تزييف الوصية الجانية العاتية ، وأنا آمل أن تدفع شروطها أحد الوارثين إلى قتل الآخر ، فتضيع معالم جريمتى .. ولكن يبدو أننى كنت كثير التفاؤل ؛ فقد مضى أسبوعان بعد وفاة العجوز ولم يقدم أحد الرجلين على جريمة القتل ؛ فلجأت إلى حيلة أخرى لأحثهما على ارتكاب الجريمة . . . فوضعت « الموسوعة البريطانية » فى متناول يد « تشارلس » وأنا آمل أن يلجأ إلى استخدام أحد السموم المذكورة فيها للتخلص من « موريس » ..

وقد نجحت خطتى بالتخلص من « موريس » فرحت أبث الدعايات وانشر الإشاعات ، فى طول المدينة وعرضها ، مؤداها أن « موريس » مات مسموماً .. وقمت أيضاً بإرسال الكثير من الرسائل المجهولة إلى البوليس ألقى فيها تبعة موت « موريس » على أخيه « تشارلس » . .

« وانتهى الأمر كما تعلم بإعدام « تشارلس » المسكين ! . ولكن . . حل بى انتقام السماء . . »

ثم كف بعد ذلك عن الكلام . . فأدهشنى انفجاره فى الضحك .. وبعد لحظات همد جسمه . .

سيد أحمد قناوى